المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: السياسة الروسية تجاه العراق ما بعد 2003
اسم الكاتب: م.م. احمد حسين شحيل
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/1996
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 03:55 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

السياسة الروسية تجاه العراق ما بعد ٢٠٠٣

المدرس المساعد

احمـــد

حسين شحيل(*)

المقدمة

شهد العالم بعد احداث ١١ أيلول ٢٠٠١ تغيرات كبيرة . فقد اصبح الارهاب والتطرف العدو الجديد الذي يجب محاربته اينما كان، كما لعب الخوف من امتلاك جماعات ارهابية متطرفة اسلحة دمار شامل دورا مهما في ترسيخ مبدا الضربة الوقائية في الاستراتيجية الامريكية الجديدة.

فقد أصبحت العلاقات الأمريكية–الروسية بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١قوية ومتطورة باتجاه التحالف ضد الارهاب. إذ لعبت العلاقات الشخصية بين الرئيسيين الامريكي بوش والروسي بوتين دورا مهما في تعزيز هذا التحالف. وتعد روسيا إحدى القوى النووية الكبرى في العالم، فضلا عن كونها احدى الدول التي تمتلك حق الاعتراض في مجلس الامن الدولي، فقد عارضت روسيا الهجوم العسكري على العراق، اذ ان المبرر الذي اعطته الولايات المتحدة بالهجوم العسكري على العراق والذي هو بانه لايمكن الوثوق باي نظام ديكتاتوري يمتلك اسلحة الدمار الشامل، هذه الذريعة الامريكية لم تلقى قبولا من روسيا. اذ يعد العراق بالنسبة لروسيا سوقا شرعيا لها وتعد الشعب العراقي شعبا صديقا ومقربا الى روسيا. كما وان هناك مديونية لروسيا بقيمة ٨ مليار دولار بذمة العراق.

ولكي ندرس طبيعة التطورات التي مرت بها السياسة الروسية تجاه العراق مابعد ٢٠٠٣ فقد قسمت هذه الدراسة الى ثلاث فصول، ففي الفصل الاول الموقف السياسي والستراتيجي لروسيا من العراق مابعد عام ٢٠٠٣ تم تناول فيه الاسباب السياسية والاستراتيجية التي دفعت روسيا الى معارضة الحرب ومن ثم تطور الموقف الروسي من مجلس الحكم الانتقالي العراقي، كما اكدت روسيا على ضرورة ان تلعب

(*)كلية العلوم السياسة-جامعة بغداد.

الامم المتحدة دورا في العراق، فضلا عن الموقف غير الرسمي للقوى الروسية المعارضة للحرب، اذ ان هناك تيارات سياسية ودينية داخل روسيا عارضت الحرب، بل طالبت بالجهاد ضد الامريكان، فقد اعلن علماء الدين الروس الجهاد ضد القوات الامريكية في العراق.

وفي الفصل الثاني الموقف الاقتصادي لروسيا من العراق ما بعد عام ٢٠٠٣ تم تناول فيه المصالح الاقتصادية الروسية في العراق، وكيف ستتفاهم روسيا مع الولايات المتحدة حول عمليات الاستثمار في العراق، لاسيما وان هناك قانونا امريكيا يحظر مشاركة الدول التي عارضت الحرب بالمساهمة في اعادة اعمار العراق..

وفي الخاتمة تم تناول فيها الرؤيا المستقبلية لطبيعة العلاقات مابين روسيا والعراق، وهل ستكون المصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية الروسية في عراق مابعد ٢٠٠٣ مضمونة بعد ان تغيرت طبيعة التوجهات السياسية والاقتصادية للعراق نحو الغرب ولاسيما الولايات المتحدة.

الفصل الأول: الموقف السياسي والاستراتيجي لروسيا من العراق ما بعد ٢٠٠٣

كانت حرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب قبل توجيه الضربة إلى العراق تحظى بدعم دولي واسع. وعلى الرغم من أنها كانت تبعث على القلق، إلا أنها لم تجعل أي لاعب كبير على الصعيد الدولي ينفر من الولايات المتحدة. وبدا الوضع يتغير منذ لحظة تحول الولايات المتحدة من القضية الأفغانية إلى توجيه الضربة إلى العراق بهدف إسقاط نظام صدام حسين[١].

ونشا تكتيكان في التعامل مع العراق وهما يوجدان اليوم أيضا. واحدهما خط روسيا الذي كان ولا يزال ينحصر في أن ينفذ العراق فعلا جميع قرارات مجلس الأمن الدولي في قضايا نزع السلاح، ولكن في الوقت نفسه، يجري خطوة بعد خطوة إلغاء جميع الملفات الأربعة لنزع السلاح[٢].

يبدو أن روسيا كانت تؤيد رفع العقوبات الدولية على العراق لأسباب اقتصاديه بحتة ولكن هذا الموقف الروسي لا يخرج عن أطار التزام العراق بكل

---

[١] **يفجيني بريماكوف ، العالم بعد ١١ سبتمبر وغزو العراق ، تعريب عبد الله حسن ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ ، ص ١٥٩.**

[(2)] **المصدر السابق ، ص ١٦٥ .**

القرارات الدولية الداعية إلى نزع اسلحة الدمار الشامل العراقية . فقد قال الكسندر يوكافينكو المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الروسية "بان رفع العقوبات عن العراق لايمكن أن يتم إلا على أساس تقرير لجنة الوكالة الدولية للطاقة الذرية واليونيكوم بشان امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل من عدمه". وأضاف "بان مجلس الأمن الدولي يمكن أن يصدر قرارا برفع العقوبات حال تسلمه هذا التقرير"[١].

حاولت الولايات المتحدة كسب روسيا إلى جانبها بوسائل مختلفة أحيانا بالضغط على روسيا برفضها الموافقة على توجيه ضربة عسكرية لجورجيا، والتي كان المقاتلين الشيشانيين يتسللون منها لضرب القوات الروسية، وأحيانا أخرى بتطمين روسيا على أن مصالحها مع العراق لن تمس بعد إقصاء صدام. وبما أن الوضع في إقليم بانكيزي الجورجي يقلق روسيا لدرجة وصلت إلى حد اعتبار روسيا أن جورجيا مقابل العراق، أي أن تترك الولايات المتحدة لروسيا حق التعامل مع جورجيا، مقابل أن توافق روسيا على ضرب العراق، وانتهت المفاوضات التي قرر فيها جورج بوش وفلاديمير بوتين التعاون معاً في حل الصراعات الإقليمية، إلى عقد اتفاق بين روسيا وجورجيا، يقوم من خلاله الطرفان بتأمين الحدود المشتركة بين الجانبين، وبالفعل كان ذلك الاتفاق دليلاً على قرب الحرب الأمريكية على العراق، لا سيما بعد قيام الولايات المتحدة بتحييد الدور الروسي المعارض لتلك الحرب، وما يؤكد ذلك هو خفوت الصوت الروسي المعارض لتلك الحرب في الآونة الأخيرة، حيث ألمحت روسيا إلى إنها قد توافق على استخدام القوة ضد العراق في حالة موافقة مجلس الأمن الدولي.[٢] وبذلك اقتبس الروس ببراعة عن بوش إستراتيجيته "الوقائية" لتبرير الهجوم العسكري على جورجيا. على أية حال، إن الحجة التي تقول بأنه إذا كان الأمريكيون يستطيعون مهاجمة الإرهابيين المزعومين في العراق، فبإمكان روسيا فعل الأمر ذاته في جورجيا[٣]. فقد أعلن فلاديمير بوتين، خلال زيارته إلى كييف، في بداية شباط، بان العراق إذا استمر في عدم الامتثال لقرارات مجلس الأمن، فانه قد يفكر بأساليب أكثر شدة من الطرق الدبلوماسية. كان واضحا ان الرئيس الروسي لم يكن متعاطفا مع صدام فهو لا يثق به، فضلا عن، انه لم يكن ملتزما بالعراق كما كان حال زعماء

---

(1) http:// www. Masrawy.com

(2) http:// www. Ashahed 2000.tripod.com

(٣) ليليا شفتسوفا ، روسيا بوتين ، ترجمة بسام شيحا ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ ، ص ٣١٠- ص ٣١١.

الكرملين السابقين[١]. ربما هذه هي أول مرة تختار فيها روسيا وتتمعن وتحسب وتلعب لعبة البوكر الدبلوماسية. كان أمام بوتين خيارات عدة:

١- أن يقدم طريقته الخاصة لحل الأزمة العراقية.
٢- أن يدعم الأمريكان وحتى الانضمام إليهم.
٣- أن يدعم " أوربا القديمة".
٤- أن لا يشترك ويكتفي بمراقبة تكشف الأحداث، نسجا على منوال الصين[٢]. كانت روسيا تملك هامش كبير للمناورة، إذ كان الأمريكان والأوربيين في حاجة ماسة لدعمها وتأييدها. ألا أن إمكانية أن تخرج روسيا بحل توفيقي للازمة العراقية ضئيلة ، فذلك كان يتطلب ليس فقط دبلوماسية معقدة لإيجاد مخرج يمكن أن يرضي جميع الأطراف على اختلاف رغباتهم، بل يتطلب وهذا هو الأهم امتلاك بوتين وزنا سياسياً غير قابل للتشكيك في القضايا الدولية[٣]. وعندما قابل الكسندر فارشبو- السفير الأمريكي في روسيا، غريغوري مامدوف- نائب وزير الخارجية الروسي في محاولة لتعزيز القضية الأمريكية ضد الفيتو الروسي، أكد مامدوف "بأن العلاقات بينهم اكبر من العراق".

وفي محاولة للولايات المتحدة لدعم قضيتها أثناء زيارة الكسندر فولوشين رئيس هيئة موظفي فلاديمير بوتين لواشنطن، قال أحد الدبلوماسيين "بأننا نحاول إعطاء تقييم صادق لتأثير الموقف السلبي جداً على الإدارة والكونغرس والتأييد الشعبي للشراكة الروسية- الأمريكية".

اولاً: الموقف الروسي من الحرب على العراق

وفسر المحللين رحلة فولوشين لواشنطن، ولقاءه مع الرئيس الأمريكي) بوش ومستشارة الأمن القومي الأمريكي كوندوليزا رايس ووزير الخارجية كولن باول والمسؤولين الإداريين وكذلك هنري كيسنجر بأنه محاولة لضمان تعامل اقتصادي قوي في مقابل دعم روسيا أو التغيب عن مجلس الأمن الدولي[٤]. بينما قال اليكسي ارباكوف-نائب رئيس لجنة الدفاع التابعة لمجلس الدوما الروسي بان على روسيا أن تسمح بالضربة إذا رفض صدام حسين مرة أخرى السماح بوصول المفتشين غير المحدود". إلا أن الكسندر بيكابيف من مركز كارينجي في موسكو قال "بأن سياسة روسيا المعارضة للضربة العسكرية الأمريكية للعراق لن تؤدي فقط إلى السماح لروسيا بجني فائدة اقتصادية في العراق، بل ستضمن أيضا أن تواصل الولايات المتحدة الحد من انتقاداتها لعملية روسيا العسكرية في الشيشان ومحاولات موسكو الضغط على

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٧ .
(٣) المصدر السابق .
(4) Catherine Belton, America resorts to economic blackmail, Moscow Times 03.06.2003,http://www.nscj.org.

جورجيا لاعتقال الثوار الشيشان في ممر بانكيزي" [١]. ففي إحدى الاجتماعات بين الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والرئيس الأمريكي جورج بوش قالت صحيفة نيزا فيسيميا غازيتا الروسية بأن حدة لهجة البيان الروسي الأمريكي تجاه العراق تعني أن بوتين يفكر بشكل واقعي ومنطقي بمصالح روسيا لإدراكه إن ضرب العراق ليس إلا مسالة وقت وان موافقة الرئيس الروسي على تضمين البيان عبارة (عواقب وخيمة) حفظت لروسيا مليارات الدولارات وان بوتين يتميز عن سابقيه من الزعماء الروس والسوفيت (بالعملية والواقعية) لتفهمه عدم جدوى مقاومة ما هو حتمي من ناحية أخرى ضد العراق[٢]. يبدو أن هناك اتفاقاً شفوياً بين الرئيسين الأمريكي جورج بوش والروسي فلاديمير بوتين حول ضرورة الأخذ بعين الاعتبار المصالح الاقتصادية الروسية في العراق كما انه ليس لروسيا أي خلاف مع أمريكا كونهما متحالفتين، حسب تعبير الكسندر كينشاك–القائم بأعمال السفارة الروسية في العراق[٣]. ومع ذلك، أرسلت روسيا رئيس وزراءها الأسبق يفغيني بريماكوف إلى العراق من اجل إقناع القيادة العراقية بضرورة التنحي عن السلطة لتفادي العراق ضربة عسكرية، فقد قال يفغيني بريماكوف لقناة RTR الروسية في ١٢ نيسان ٢٠٠٣ "إنني حملت رسالة شفهية من الرئيس فلاديمير بوتين لصدام حسين بضرورة التنحي عن السلطة إنقاذا لشعب العراق من حرب قادمة، ولم يرد صدام علي بكلمة، وربت على كتفي، وغادر الغرفة التي كانت تجمعنا[٤]. كما أكد الرئيس الروسي بان عدم الاتفاق حول العراق سوف لا يسمح لها بتعريض العلاقات الروسية–الأمريكية للخطر. فقد قال بوتين" بأنه في العقل السياسي، الولايات المتحدة وروسيا قوى نووية كبرى في العالم والمسؤولية الخاصة تقع علينا وفي حل تلك المشاكل هناك ميزة عالمية وأوضاع الأزمة، ونحن دائما نتعاون ونتعاون وسوف نتعاون مع الولايات المتحدة". وشدد بوتين" بأنه يجب على روسيا والولايات المتحدة المحافظة وتعزيز وتطوير الشراكة في الحرب ضد الإرهاب الدولي، وبينما تستمر روسيا بخفض الأسلحة النووية ومحاربة انتشار أسلحة الدمار الشامل، إلا إنها لا ترغب دائما في تعريض روابطها القوية مع الولايات المتحدة للخطر من اجل العراق، وأشار بوتين بأنه "لأسباب اقتصادية وسياسية، فان روسيا لا تستفيد بأن ترى الولايات المتحدة مهزومة في العراق"[٥]. بينما يعتقد البعض بان أحد أسباب فشل الولايات المتحدة في الحصول على تأييد دولي من مجلس الأمن الدولي، هو تجاهل أمريكا لمصالح هذه الدول في العراق، فقد قال مارتن أنديك السفير الأمريكي الأسبق في إسرائيل بأن" الفشل لا يقع على فرنسا لكن نحن تجاهلنا الروس.

---

(1) http://www. Plofim. Com

(٢) صحيفة الرأي (الأردنية)، العدد ١١٧٦٠، الأحد ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٢.

(3) صحيفة الزمان (لندن- بغداد) ، العدد ١٥٤٢، السبت ٢٨ حزيران ٢٠٠٣.

(4) http://www.Islam online.net

(5) Anthony Louis, Analysis: Russia changes tack on Iraq, http://www.ncsj.org.

أتذكر فلاديمير بوتين؟ حتى الأسابيع الأخيرة، اصطفافه مع الولايات المتحدة، كان الإنجاز الكبير الوحيد لدبلوماسية الشخصية للرئيس. وعلى الرغم من إن إدارة بوش داست المصالح الروسية بعد التخلي عن معاهدة ضد الصواريخ الباليستية، شرع بوتين وبقرار شخصي بصياغة شراكة إستراتيجية مع الولايات المتحدة. وعلى هذا الأساس، كان الرئيس الروسي راغب بالتخلي عن عقود من الدعم السوفيتي والروسي لصدام حسين". ففي التسعينات من القرن العشرين أن مثل هذه الطريقة كانت لا تصدق، إذ أن حكومة بوريس يلتسين تحت قيادة يفغيني بريماكوف، طورت إستراتيجية وكذلك تجارة معقولة للمحافظة على الروابط مع بغداد. إلا انه بعد أحداث ١١أيلول طور بوتين تقدير استراتيجي مختلف جدا بأن مستقبل روسيا يقع في الشراكة مع واشنطن وليست بغداد.[١] كما يرى بعض المحللين، بأنه استنادا إلى المصالح الروسية كان بوتين محقا بعدم مساندته الهجوم العسكري على العراق، لكنه كان يستطيع التعبير عن عدم موافقته ويبعد نفسه عن الخوض في مزيد من المناقشات وبذلك كان سيجنب تعريض علاقات روسيا مع أمريكا إلى الخطر. هذا مافعلته القيادة الصينية الحكيمة حين صرحت لمرة واحدة بعدم موافقتها على استخدام الفيتو في مجلس الأمن ضد أمريكا. هذا هو الموقف المثالي الذي كان يجب على بوتين اتخاذه، لأنه كان سيساعد موسكو في الحفاظ على علاقات جيدة مع أوربا وامريكامعا. لقد خانه حدسه. فسمح لنفسه بالانجرار إلى "تحالف الدول الرافضة"، وهذا كان خطا، من الناحيتين الدبلوماسية والسياسية[٢]. أصبحت النوايا الأمريكية اتجاه تغيير نظام صدام في نهاية العام ٢٠٠٢ اختبارا جديدا للتحالف الأمريكي الروسي الجديد. للمرة الأولى منذ ١١ أيلول ٢٠٠١ اختلفت أجندات السياسة الخارجية والمصالح الاقتصادية للولايات المتحدة وروسيا بشكل واضح . كانت روسيا تخشى من أن تؤدي الحرب في العراق إلى زعزعة الوضع المتقلب سلفا في المنطقة القريبة من الحدود الروسية. استنادا إلى الوضع غير المستقر في افغانستان يمكننا اعتباره قلقا مبررا[٣].

بينما يرى البعض بأن معارضة روسيا لحرب العراق، جزئياً) يعود لأنها لم تكن تحظى بشعبية بين الروس. كما أن روسيا أيضا تشعر بان مصالحها سوف تكون بخطر. وعلى الأقل، خوفها من التمرد بين المسلمين الروس ولا سيما في الشيشان.[٤] كانت أمريكا مقتنعة بان العلاقات الشخصية والدافئة بين بوش وبوتين، سوف تلعب دورا كبير في تغيير الموقف الروسي. ولعل الرئيس الأمريكي شعر بان موقف بوتين الشديد بخصوص الشيشان كان كفيلا بان يجعله يشبه الوضع هناك بالعراق ويدفعه

---

(1) Martin Indyk, we forgot the Russians, Washiton post,3.23.2003,http://www.Ncsg.org.

(2) ليليا شفتسوفا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣١ .

(3) المصدر السابق ، ص ٣٠٨ – ص ٣٠٩<

(2) Stephen Fidler, Soft Stance on Russia Keeps Option open for the US, the financial Times – 03.20.2002. http://www.ncsj. Org.

(3) ليليا شفتسوفا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢٨ .

إلى تأييد الحل العسكري في المسالة العراقية، أو البقاء محايدا على اقل تقدير. باختصار كانت معارضة روسيا للسيناريو العسكري في العراق صدمة فعلية لأمريكا

هذه المرة اطهر بوتين بان روسيا لايمكن اعتبارها مجرد شريك صامت ومطيع كان بإمكانها انتقاء الطرق المناسبة لها بين الحين والأخر[١]. وطرح مارتن أنديك نائب وزير الخارجية الأمريكي تساؤل لماذا روسيا مهمة؟ وأجاب مارتن أنديك على هذا التساؤل بالقول بان الإستراتيجية الدبلوماسية الفعالة في مجلس الأمن الدولي هي على أساس حساب رياضي بسيط. هناك خمسة أعضاء دائمين. في العراق نحن ذهبنا إلى المعركة بصوتين (أمريكا وبريطانيا) ونحن نحتاج لصوت واحد أكثر للحصول على أغلبية الأعضاء الدائمين، وحالما نحن نحصل على ثلاث أصوات فنحن غالباً أوتوماتيكيا نحصل على الرابع، لان الصين عادة تنحاز إلى الأغلبية. وحالما نحن لدينا أربع، تنعزل فرنسا. والأعضاء غير الدائمين من ثم ينحازوا للالتحاق مع الأغلبية ذات الوزن الثقيل. في تلك الظروف فان فرنسا سوف لا تستطيع أن تجروا باستخدام الفيتو.[٢] لذا اختارت روسيا الموقف الأوربي الرافض لضرب العراق . لقد دعمت روسيا الحملة الأمريكية في أفغانستان بشكل واضح لأنها اعتبرت الحرب ضد طالبان التي كانت تهدد بشكل دائم حدود روسيا مع أسيا الوسطى منسجمة مع مصالح روسيا [٣] . إذ أن موقف الرئيس الروسي من العملية العسكرية في العراق هو الذي الذي أدى إلى تشكيل " تحالف الدول الرافضة " مما زاد من التناقضات ضمن المجموعة الأطلسية الأمر الذي دفع الإحداث في نهاية المطاف بالطريقة التي رأيناها . كانت فرنسا وألمانيا تدركان الدور الممكن لروسيا وهذا ما دفعهما إلى تخصيص كل ذلك الوقت لإقناع وإرضاء وزير الخارجية الروسي أيغور ايفانوف وبوتين نفسه . وان انضمام القيادة الروسية إلى المحور الفرنسي الألماني ليس لأنها كانت تحب أوربا بل لأنها كنت تكره أمريكا [٤]. في نهاية المطاف) ساندت روسيا رغم " بعض مشاعر القلق قرارا جديدا حول العراق يطالب العراق بالتصريح عن كل أسلحة الدمار الشامل التي تمتلكها والسماح بالتفتيش على الأسلحة . وهذه المرة توقفت روسيا عن محاولة إنقاذ نظام صدام واختارت أن تقف إلى جانب المجتمع الغربي وفي الوقت نفسه حاولت الاستفادة من الاختلافات بين الحلفاء الغربيين كان واضحا أن روسيا وأمريكا ستتعاون في نهاية الأمر في معالجة موضوع العراق قبل نظام صدام وبعده [٥].

---

(2) Martin Indyk, we forgot the Russians , Washington post , 3. 23. 2003, http://www.ncsj.org.

(3) ليليا شفتسوفا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢٧ .

(4) المصدر السابق ، ص ٣٢٨.

(5) المصدر السابق ، ص ٣١٠ .

(2) http://www.maslismuzbekistan.com .

يبدو أن روسيا تعتقد بان العراق لا يمتلك أسلحة دمار شامل، ومن ثم يجب إعطاء دور اكبر إلى الأمم المتحدة للتحقق من ذلك. فقد قال سيرجي لافروف مندوب روسيا الدائم لدى الأمم المتحدة "بان بلاده لم تؤمن أبدا بوجود أسلحة دمار شامل في العراق". كما أعلن سيرجي لافروف في اجتماعه السنوي مع الصحافة" بان المسؤولين الروس أكدوا مراراً إنهم لا يمتلكون معلومات كافية تثبت امتلاك العراق لأسلحة محظورة". وقال أيضا "أعلنا إننا لا نمتلك معلومات تثبت استمرار برامج أسلحة الدمار الشامل في العراق " وأعلنا أيضا انه ليس لدينا ما يفيد توقف هذه البرامج تماماً". وصرح سيرجي لافروف بان "روسيا أيدت بالتالي صدور قرار مجلس الأمن في تشرين الثاني ٢٠٠٢ يمنح مفتشين تابعين للأمم المتحدة تفويضاً واسعاً غير مسبوق. ولهذا السبب كنا نريد أن ينهي المفتشين مهمتهم... وان روسيا تعتقد أن مفتشي الأمم المتحدة قدموا تقييماً موضوعياً". إلا أن روسيا انتقدت بشدة اللجنة الخاصة السابقة للأمم المتحدة ، قبل سحب مفتشي الأسلحة التابعين للمنظمة الدولية عشية قصف أمريكي للعراق. وقال سيرجي لافروف "أن لجنة الأمم المتحدة للمراقبة والتحقق والتفتيش قد يمكنها تحليل أي معلومات توصلت إليها فرق البحث الأمريكية عن الأسلحة... وإذا كانت هناك أسلحة متبقية ويمكن استخدامها من جديد فإننا نريد إزالتها. لا نريد أن تضع جماعات غير مرغوبة في العراق أيديها على أسلحة الدمار الشامل إذا كانت موجودة أصلا... أن مهمة لجنة الأمم المتحدة في العراق يجب إلا تكون طويلة الأمد وانه ينبغي إيجاد حلول للاستفادة بخبرة اللجنة بصفة خاصة فيما يتعلق بالأسلحة البيولوجية والصواريخ ذاتية الدفع والتي لا يوجد آليات دولية للتفتيش عليها" [١]. كما يرى سيرجي لافروف بان "عدم العثور على أسلحة دمار شامل في العراق لا يسيء إلى الأمم المتحدة بل يعزز صدقيتها... وان بلاده لم تؤمن قط بوجود هذه الأسلحة في العراق". وعد ايضا الحرب الأمريكية على العراق "بأنها كانت خطأ" لكنه خطأ لا يسيء إلى الأمم المتحدة".[٢] بينما يرى يفجيني بريماكوف " بان غياب العلائم التي تدل على أن العراق يمتلك السلاح النووي فانه يجرب إغلاق هذا الملف فيزيقيا بل تحويل أعمال التفتيش إلى مستوى المراقبة . وهذا طبعا ليس الشيء ذاته لان الرقابة الدولية على احتمال قيام العراق بصنع السلاح النووي ستبقى" [٣]. هناك عوامل عديدة لعبت دورها في تحديد موقف بوتين في الفترة التي وقعت فيها أحداث العراق) وهي كما يأتي :-

١- القلق من أن يعمل الدعم الصريح لأمريكا ليس فقط على أنتاج حزام عدائي من الدول المسلمة حول روسيا بل على إغاظة السكان المسلمين في روسيا بالذات.

---

[١] صحيفة القدس العربي (لندن)، العدد ٤٥٧٧، الأربعاء ١١ شباط ٢٠٠٤

[٢] صحيفة النهار (البيروتية)، العدد ٢١٨٦٩، الأربعاء ١١ شباط ٢٠٠٤.

[٣] يفجيني بريماكوف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٥ .

٢- أن الرئيس الروسي كان مرغما على أن يأخذ بالحسبان الاستياء المتنامي للمؤسسة السياسية الروسية مما اعتبرته " وقت رد الدين " في العلاقات الأمريكية – الروسية .

٣- كانت النخبة الروسية ما تزال ترفض الهيمنة الأمريكية التي كانت تعتبرها تهديدا للمصالح الجوهرية الروسية .

٤- لقد شعر بويتن على ما يبدو بأنه لم يكن ثمة أسلحة دمار شامل في العراق استنادا إلى معلومات وكالاته الاستخبارية أو أن هناك كمية صغيرة جدا لم تكن تشكل تهديدا لاستقرار المنطقة .

٥- أن الكرملين كان يخشى من أية عواقب غير متوقعة في منطقته يمكن أن تنتج عن الحرب في العراق.

٦- هناك حقيقة لعبت دورا مهما للغاية مع أنها كانت تبدو غير هامة من الناحية الظاهرية في موقف روسيا من الحرب . كانت أمريكا لاتعير روسيا كثيرا من الأهمية . ففي حين كان شيراك وشرودر يظهران بشكل دائم وعلني اهتماما واحتراما كبيرين لروسيا[١] .

وفيما يتعلق بموقف القوى غير الرسمية في داخل روسيا من التدخل العسكري في العراق، فانه مشابه للموقف الرسمي، الذي أدان الأعمال العسكرية. فقد أشارت صحيفة الانترنيت الأسبوعية لشيوعي رابطة الدول المستقلة (كومونيست.رو) بان "الجميع في روسيا يدين الحرب في العراق". بينما نشرت بعض الصحف البرجوازية الروسية بعض العبارات على شاكلة "أي سعادة في أن الحرب بدأت من دون قرار من مجلس الأمن الدولي لان من المخيف تصور ما كان سيحصل للأعمال التجارية الروسية لو كانت روسيا استخدمت حق الفيتو".

وهذا ما أظهره استطلاع للرأي اجري في كانون الثاني ٢٠٠٣ حيث أعرب ٥٢% من الشعب الروسي عن معارضتهم للحرب الأمريكية البريطانية في العراق (٣% فقط أيدوها) [٢] . لابد من التنويه بان السياسي الروسي الوحيد الذي أيد الحرب الأمريكية في العراق هو الكسندر بوفين السفير الروسي السابق في إسرائيل، وذريعته على الشكل التالي: النظام الذي ينتهك الديمقراطية يمكن، على حد قوله، مهاجمته من دون تفويض من الأمم المتحدة" [٣] . فضلا عن ذلك. نصحت السيدة كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي الإدارة الأمريكية بعد أن وضعت الحرب أوزارها في

---

(1) ليليا شفتسوفا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣٠ .

(2) http://www. Communist. Ru.

(3) http://www.islam on line.net.

(4) http:// www. Aljazeera.net.

(5) ليليا شفتسوفا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧٦ .

(6) يفجيني بريماكوف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧١ .

(7) ليليا شفتسوفا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣٠ .

(8) http:// www. Communist. Ru.

العراق" بالصفح عن روسيا. بينما طالبت بمعاقبة فرنسا ونسيان ألمانيا. وكان هذا معناه أن روسيا وان دفعها الشطط لأخذ بعض المواقف المعارضة للولايات المتحدة فهي الحليف القريب"[١]. على أية حال) لقد قرر بوش بالفعل عدم أبعاد روسيا . وهذا ماكده ستيفين سيستانوفيتيش حيث قال " بأنه بعد النجاح الأولي للحملة المعادية لأمريكا قررت واشنطن أن تغفر لروسيا وتعيد بناء العلاقات" . من الواضح أن أمريكا كانت تحتاج إلى روسيا في حربها على الارهاب وذلك لموقعها الجيو سياسي بالقرب من مصادر التوتر في العالم وتأثيرها الأكيد على العالم العربي وقدرتها على اللعب ضد الغرب .

موقف روسيا من التغير في العراق وتشكيل مجلس الحكم

وفيما يتعلق بموقف روسيا من مجلس الحكم العراقي الانتقالي فأنها رحبت به على لسان وزير خارجيتها ايغور ايفانوف ومعتبرة إياه الخطوة الأولى التي يجب ان تعقبها إجراءات أخرى لمواصلة مسيرة التسوية في العراق [٢]. إلا ان روسيا قتلت البيان ألترحيبي الذي حاول الرئيس الاسباني لمجلس الأمن استصداره بمجلس الحكم العراقي فقد أوضحت كونداليس رايس" ان أصدقاءنا الألمان بمساعدة الفرنسيين والروس قتلوا البيان ألترحيبي" [٣]. فضلا عن ذلك) انتقدت روسيا الاتفاق الذي توصلت إليه سلطة الائتلاف المؤقتة في العراق برئاسة بول بريمر ومجلس الحكم الانتقالي لما وصفته بـ " عدم إسناده أي دور للأمم المتحدة ". فقد انتقد بشدة يوري فيدوتوف– نائب وزير الخارجية الروسي "هالة السرية" التي أحاطت بها الولايات المتحدة مناقشة خطط تسليم السلطة في العراق عندما قال "من منظورنا إذا كانت هناك جهودا قائمة لتسوية أزمة العراق، فيجب أن تتم بطريقة جماعية فهذا هو السبيل الأوحد لتسوية العملية قانونا". وأبدى المسؤولون الروس امتعاضهم الواضح من كيفية اتفاق مجلس الحكم العراقي وقوات التحالف في نقل السلطة لحكومة عراقية. وشددت روسيا على أهمية مشاركة الأمم المتحدة في العملية لإضفاء طابع الشرعية الدولية فقد رهن نائب سفير روسيا لدى الأمم المتحدة أي قرارات دولية تجيز اتفاق قوات التحالف ومجلس الحكم العراقي بتفويض دور أوسع للأمم المتحدة [٤].

مع ذلك، رحبت روسيا بتوقيع مجلس الحكم العراقي على قانون إدارة الدولة المؤقتة، ووصفته بأنه خطوة جريئة ستؤدي إلى إشاعة السلام في العراق، فقد قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الروسية الكسندر ياكوفينكو" أن بين أيدينا الآن أساس قانوني للحفاظ على بقاء العراق وحدة واحدة متماسكة"[٥]. إذ ترى روسيا في القانون المؤقت" قاعدة قانونية " لإيجاد حل للوضع في العراق. ففي بيان لوزارة الخارجية

---

(1) صحيفة الأهرام (المصرية)، العدد ٤٢٦١٠، الجمعة ٢٢ أغسطس ٢٠٠٣ .

(2) بول بريمر ، عام قضيته في العراق – النضال لبناء غد مرجو ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ١٦٢ .

(3) http://www.arabic.cnn.com

(4) صحيفة الصباح (العراق) ، العدد ٢٠٥ ، الأربعاء ١٠ آذار ٢٠٠٤.

الروسية، قال الناطق الرسمي الكسندر ياكوفينكو "بان الجهود الطويلة والصعبة لصياغة نص الدستور أثمرت نتائج ملموسة"، وأضاف "تم وضع قاعدة قانونية في العراق ضرورية من اجل الحفاظ على دولة واحدة ومن اجل عملية إعادة بناء الحياة الداخلية على أسس ديمقراطية ومن اجل حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية" واعتبر أن هذه الخطوة ستساهم أيضا في إعادة سيادة العراق بسرعة واستعادته مكانه على الساحة الدولية".[١] كما قال الكسندر ياكوفينكو " ان نجاح عمل الحكومة العراقية المؤقتة يتوقف على قدرتها على القيام بتلك الخطوات العملية التي من شانها ان تكسب ثقة الشعب العراقي وتشعره بان الاحتلال في طريقه إلى الزوال " . وأضاف" ان روسيا على استعداد لإبداء الدعم اللازم للحكومة العراقية المؤقتة سواء في أطار مايبذله المجتمع الدولي من جهود أو على أساس ثنائي " [٢]. كما أكدت روسيا على ضرورة نقل السلطة إلى حكومة عراقية منتخبة تحظى بتأييد كبير في العراق. ففي لقائه مع نظيره الأردني مروان المعشر في ١٠ شباط ٢٠٠٤، إذ قال ايغور ايفانوف بان روسيا ترحب بقرار كوفي عنان بإرسال بعثة إلى العراق لكي تقيم الظروف الأمنية وإمكانية إجراء انتخابات [٣] . كما أشار إلى تقارب مواقف روسيا مع الأردن حول أعادة السيادة للعراق في أسرع وقت والحفاظ على وحدة أراضيه وتنسيق الجهود المبذولة لتحقيق الاستقرار الاستراتيجي ومكافحة الإرهاب الدولي [٤] . كما دعت روسيا إلى تشكيل قيادة عراقية في أسرع وقت، واكدت أيضا على ضرورة تمكينها من العمل بشكل مستقل من اجل التوصل إلى تسوية للأوضاع في العراق. فقد قال ايغور ايفانوف وزير الخارجية الروسي خلال استقباله جلال طالباني– رئيس الاتحاد الوطني الكردستاني في روسيا بان "الشروع في عمل جدي للتوصل إلى تسوية للأوضاع في العراق ليس ممكناً من دون التعجيل في قيام قيادة عراقية تعمل في شكل مستقل". كما انه وصف جلال طالباني بأنه "صديق روسيا القديم". وأكد بان" روسيا أيدت دائماً التوصل إلى حل عادل للمشكلة الكردية" [٥] .

كما صرح مسؤول في ديوان الكرملين ، وأثناء زيارة الأمير عبدالله ولي العهد السعودي إلى روسيا ، بان الطرفين سيتبادلان وجهات النظر حول مسائل ترتيب الأوضاع في العراق بعد الحرب مع التركيز على تفعيل أكثر نشاطاً لآليات الأمم المتحدة وفقاً للقرار ١٥٠٠ الصادر عن مجلس الأمن الدولي مع مراعاة الاهتمام المشترك لروسيا والسعودية بإحلال الاستقرار على أسرع نحو ممكن في العراق وإنهاء عملية تشكيل الأجهزة الانتقالية للسلطة ثم تشكيل الحكومة العراقية الشرعية [٦] . كما

---

[5] صحيفة التآخي (العراق)، العدد ٤١٨٦، الثلاثاء ٩أذار ٢٠٠٤

[1] http://www.almoslim.net

[3] Herald Tribune, Thursday, February 12.2004.

[٤] صحيفة الأهرام (المصرية) ، العدد الصادر في يوم الخميس ١٢ فبراير ٢٠٠٤.

[٥] صحيفة الحياة (لندن)، العدد ١٤٧١٥ ، الثلاثاء ٨ تموز ٢٠٠٣.

[٦] صحيفة الأهرام (المصرية)، العدد ٤٢٦٣٩، الأربعاء ٣ سبتمبر ٢٠٠٣.

ذكر الكسندر كلوغين . المبعوث الروسي لعملية السلام في الشرق الأوسط وأحد أعضاء اللجنة الرباعية الدولية للسلام خلال لقاءه مع وزير الخارجية السعودي " ان لدى المملكة العربية السعودية قلقاً من عدم استقرار الوضع وتدهور الأمن ، واستعداداً لمساعدة العراقيين في انتقال السلطة إلى قيادة عراقية تمثل كل الشعب العراقي " وذكر " ان روسيا والسعودية متفقتان مع تقرير بعثة الأمم المتحدة الذي أوضح عدم امكان إجراء انتخابات عاجلة في العراق ، ومتفقتان على ضرورة أعطاء المنظمة الدولية دوراً مهماً في العراق لتشارك بفعالية وليس دوراً تابعاً لقوات الاحتلال "[١] .

كما أبدت روسيا استعدادها للتعاون مع الولايات المتحدة لاستصدار قرار من الأمم المتحدة، بإمكانه أن يساعد في تحقيق الاستقرار الأمني والسياسي في العراق.

ثانياً: رؤية روسيا لتطورات الاوضاع في العراق

ففي ١ تشرين الأول ٢٠٠٣، أكد بيان لوزارة الخارجية الروسية استعداد روسيا للتعاون عن كثب مع الإدارة الأمريكية لضمان استصدار قرار جديد من مجلس الأمن بشأن العراق... وان أوجه الاتفاق بين روسيا والولايات المتحدة حول سبل علاج الوضع بالعراق قائمة خاصة فيما يتعلق بضرورة استعادة السيادة الوطنية هناك بأسرع وقت ممكن وعودة البلاد إلى الحظيرة الدولية... وان بقية الخلافات يمكن تسويتها خلال مشاورات مسئولي الدولتين في نيويورك حول مشروع القرار المرتقب". كما كشف البيان النقاب عن موافقة الإدارة الأمريكية على إعطاء الأولوية للعقود الروسية عند تنفيذ برنامج البترول مقابل الغذاء، ومنح الشركات الروسية شروطاً ميسرة عند طرح عقود لتنفيذ مشروعات اقتصادية طويلة الأجل بالعراق مستقبلاً [٢] . كما صرحت مستشارة الأمن القومي الأمريكي كوندليزا رايس لشبكة (فوكس) بأن " الروس اتخذوا موقفا بناء جدا لاسيما في المناقشات الجارية في الأمم المتحدة بهدف إصدار قرار حول العراق واعتقد أن الروس سيحاولون التوصل إلى طريقة لتقديم المساعدة وانهم يفهمون مثلهم مثل العديد من الدول التي تحدث الرئيس بوش مع قادتها عندما كان في نيويورك، انه لم يعد يهم ما هي المواقف التي اتخذوها قبل الحرب لان الهدف الآن هو التوصل إلى عراق مستقر سلمي وديمقراطي".[٣] لذا فأنها رحبت بقرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٥٠٠ بشان العراق، فقد قال يوري فيدوتوف– نائب وزير الخارجية الروسي بان روسيا ترحب بقرار الأمم المتحدة انه خطوة على طريق اعتراف الأسرة الدولية بحكومة عراقية". وأضاف أن هذا القرار يجب أن يسمح بإجراء انتخابات لتشكيل حكومة، ستتولى بعد ذلك السلطة بعد مجلس الحكم الانتقالي". وأكد إن "روسيا مستعدة للمشاركة في بعثة الأمم المتحدة وإرسال خبراء".[٤] لقد أدركت روسيا بدورها ان عليها تهدئة العلاقات مع الولايات المتحدة قبل ان تصبح البرودة

---

[١] صحيفة الحياة (لندن) ، العدد ١٤٩٤٧ ، الأحد ٢٩ شباط ٢٠٠٤ .
[٢] صحيفة الأهرام (المصرية) ، العدد ٤٢٦٦٨ ، الخميس ٢ أكتوبر ، ٢٠٠٣.
[3] صحيفة القدس العربي (لندن)، العدد ٤٤٦٦، الاثنين ٢٩ أيلول ٢٠٠٣.
[٤] صحيفة القدس العربي (لندن) ، العدد ٤٤٢٩،السبت/الأحد ١٧/١٦ آب ٢٠٠٣.

غير قابلة للحل . وهذا ما دفعها إلى تأييد قرار الأمم المتحدة الذي أعطى الشرعية لوجود التحالف الأمريكي البريطاني في العراق وقررت عدم المطالبة بدفع كامل الدين العراقي إلى روسيا أو المطالبة بإعطاء الامتياز لشركات النفط الروسية في عراق ما بعد صدام [١]. علاوة على ذلك أعلنت روسيا بأنها مستعدة لدعم التحالف الأمريكي البريطاني في العراق ولكن ضمن أطار الأمم المتحدة.فقد قال بوتين بان روسيا مستعدة لتأييد صدور قرار جديد عن مجلس الأمن الدولي حول العراق إذا تم منح الأمم المتحدة دورا حقيقيا في أدارة البلاد التي مزقها الحرب . وأوضح " نعتقد أن إصدار قرار جديد أمر ممكن بل ومستحب . ولكن بشرط ان تلعب الأمم المتحدة بفاعلية دورا جديا وحقيقيا في إعادة أعمار العراق وفي تنظيم الحياة السياسية والاقتصادية في البلاد بشرط ان تقود العملية الديمقراطية في المجتمع العراقي وتشكيل مؤسسات الدولة" . بينما تعتبر وزارة الخارجية الأمريكية ان فرنسا ولروسيا وغيرهما من الدول الأوربية أنما تسعى من خلال هذه القوات إلى توسيع حصتها من عقود أعادة الأعمار [٢].

بينما دعا ايغور ايفانوف– وزير خارجية روسيا في مقالة في صحيفة كوميرسنت الروسية، "إلى مواصلة عمل هيئة الأمم المتحدة في العراق، لان الأمم المتحدة تتحمل المسؤولية عن تقديم المساعدة في إشاعة الاستقرار أن من الواجب أن تمتلك بعثة الأمم المتحدة خطة واضحة لاستعادة سيادة العراق في اقرب وقت ممكن وان تتضمن هذه الخطة الصلاحيات الأزمة للمشاركة بصورة مباشرة في تشكيل الحكومة الانتقالية والتهيئة لإصلاحات الدستورية وتنفيذها وتنظيم انتخاب الحكومة التي يعترف بها دوليا". وفي ختام المقالة طالب ايغور ايفانوف "بوجوب معرفة الجواب على السؤال حول لمصلحة من جرى تفجير مبنى المنظمة الدولية في بغداد ؟" [٣] . والجدير بالذكر ان ايغور ايفانوف– وزير الخارجية الروسي، فقد أجرى اتصالا تليفونيا مع كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة بعد التفجير، وأعرب عن استعداد روسيا للمساعدة في تحسين حماية موظفي الأمم المتحدة في العراق، وقال بأن "روسيا مستعدة لدعم الإجراءات التي يتخذها مجلس الأمن الدولي لضمان أمن الموظفين الدوليين" بينما نددت وزارة الخارجية الروسية بالهجوم الإرهابي في بيان لها ووصفته بأنه "عمل وحشي يهدف إلى تقويض عملية الاستقرار في عراق ما بعد الحرب". و أعرب البيان "عن الأسف لان يستهدف الإرهابيون موظفي الأمم المتحدة وهي منظمة تهدف جميع جهودها إلى مساعدة الشعب العراقي في التغلب على آثار الصراع العسكري وإعادة الحياة إلى طبيعتها لهذا الشعب".[٤] كما قال يوري فيدوتوف– نائب وزير الخارجية الروسي أثناء زيارته إلى الصين بأنه بصرف النظر عن نتيجة الحرب

---

(١) ليليا شفتسوفا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣٤ .

(٢) صحيفة الشرق الأوسط (لندن – بغداد) ، العدد ٩٠٤٢ ، الأحد ٣١ أغسطس ٢٠٠٣.

(٣) صحيفة الأهرام (المصرية)، العدد ٤٢٦٣١، الثلاثاء ٢٦ أغسطس ٢٠٠٣

(4) http:// www. Arabic. People. Com

فان مستقبل العراق يجب أن تقرره الأمم المتحدة وليس الولايات المتحدة وان الصين وروسيا بحثتا إجراءات مفصلة وخطوات لتامين الوضع الأساسي للأمم المتحدة بما يشمل جميع مراحل الصراع أثناء الحرب وبعدها.[١] بينما أبدى بوريس بولوتين سفير روسيا في لبنان عن تخوفه من الوضع في العراق، ملاحظا مؤشرات لا تطمئن بسبب المشكلات بين الطوائف والأعراق التي وصفها بأنها خطيرة جدا. ودعا إلى دور أكثر فعالية للأمم المتحدة في حل المشكلات في العراق[٢]. فضلا عن ذلك) دعت روسيا إلى ضرورة عقد مؤتمر دولي حول العراق، نظراً لتعقد عملية التسوية فيه، إذ أن هذه الفكرة حسب قول يوري فيدوتوف– نائب وزير الخارجية الروسي "لا تزال حيوية" وأضاف "أن بلاده لا تزال على يقين بأنه يجب وضع الأساس الدولي لعملية التسوية السياسية الداخلية في العراق" [٣] . كما أكد وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف أن روسيا تدعو إلى عقد مؤتمر دولي حول العراق بمشاركة كافة القوى السياسية العراقية بما فيها القوى المعارضة. وقال لافروف في حديث له للقناة الأولى في التلفزيون الروسي" ان المراقبين يرون ان الوضع في العراق أصبح ينفلت، مشيراً إلى ان بمقدور قوات التحالف السيطرة على الوضع العسكري في مرحلة ما، ولكن هذا لن ينهي الأزمة ولن يضع حداً للمقاومة".

ويرى أيضا "ضرورة نقل الوضع إلى مسار العمل السياسي"، مؤكداً أن" روسيا كانت قد دعت مراراً إلى بحث امكان تنظيم المؤتمر الدولي الذي يجب ان تشارك فيه كافة القوى السياسية العراقية بما فيها القوى المعارضة" [٤] . كما قال سيرغي ايفانوف وزير الدفاع الروسي " بان الفكرة التي اقترحتها روسيا ودعمها كثير من الدول المتمثلة في عقد مؤتمر دولي حول العراق بمشاركة كل الإطراف المعنية وبخاصة الدول العربية المجاورة وهو ما شددنا عليه منذ ان طرحنا هذه الفكرة إنني لااريد ان انسب هذا الاقتراح إلى روسيا وحدها بل هناك دول أخرى أيدتنا أو طرحت مبادرات مماثلة . بينما قال هوشيار زيباري وزير الخارجية العراقي "في ختام زيارة لروسيا" بان الحكومة الانتقالية العراقية غير متحمسة لفكرة عقد مؤتمر دولي تحضره كل الإطراف المعنية بمناقشة الملف العراقي" واعتبر ان " الزمن تجاوز الاقتراح الروسي " مشيرا إلى ان مؤتمرا من هذا النوع " كان يمكن ان يكون مفيدا لو وجهت الدعوة أليه بعد الحرب مباشرة" [٥].

علاوة على ذلك) بذلت روسيا جهودا مكثفة باتجاه تدويل الملف العراقي وإخراجه من حالة الاحتكار الأمريكي . إذ اعتبرت روسيا ان المؤتمر الدولي الذي انعقد في شرم الشيخ المصرية حول العراق يمكن ان يكون خطوة على طريق أخراج

---

(1) http://www.eatlaf.com

(٢) صحيفة النهار(البيروتية) ، العدد ٢١٨٨٠ ،الأحد ٢٢ شباط ٢٠٠٤.

(٣) صحيفة القدس العربي(لندن) ،العدد ٤٥٨٤، الخميس ١٩ شباط ٢٠٠٤

(٤) صحيفة الصباح (العراق) ، العدد ٢٣٨ ، الثلاثاء ٢٠ نيسان ٢٠٠٤ .

(5) http://www.alarabiya.net

العراق من أزمته بل ان روسيا بدأت في تقديم تنازلات بهدف العودة للسوق العراقي. وكان يوري فيدوتوف نائب وزير الخارجية الروسي قد أعلن ان بلاده على استعداد لتقليص الديون العراقية وفق قواعد نادي باريس وأعرب عن قناعته بضرورة أجراء محادثات مع الحكومة العراقية التي ستستلم مقاليد السلطة عقب انتخابات ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥ للاتفاق على قيمة الديون التي سيتم سدادها وسبل سدادها وأعرب عن استعداد الشركات للمساهمة في أعمار العراق والقيام باستثمارات كبيرة في اقتصاده معتبر ان المشكلة في ذلك التي تقابلهم هي انعدام الأمن والاستقرار في العراق التي تعيق مواصلة الإعمال التي بدأت في تنفيذها بعض الشركات الروسية [١].

وفيما يتعلق بالموقف الروسي من إرسال قوات دولية إلى تحقيق الأمن والاستقرار في العراق، قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين خلال زيارة غير رسمية لإيطاليا "إن بلاده ستدعم قرارا بإرسال قوة عسكرية دولية إلى العراق حتى لو كان ذلك تحت قيادة أمريكية". كما قال فلاديمير بوتين في مؤتمر صحفي في جزيرة مادا لينا الإيطالية قرب سردينيا "لا نرى مشكلة فيما يتعلق بالمشاركة المحتملة لقوات دولية في العراق تحت قيادة أمريكية... وذلك ممكن ولكنه سيتطلب قرارا من مجلس الأمن".[٢]

كما قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين "بان روسيا لا تستبعد إرسال قوات عسكرية إلى العراق، لكنها ليست على جدول الأعمال الآن، بالتأكيد بأنه يجب أن تكون شروط ومدة القوات الأجنبية الدولية محددة من قبل مجلس الأمن الدولي... وبعكس العديد من المساهمين لهذه العملية، طريقتنا ليبرالية بالضبط. نظريا نحن لا نستثني مساهمة أكثر فعالية لروسيا في إعادة أعمار العراق وتتضمن مساهمة قواتنا العسكرية في عملية التطبيع" [٣].

وإذا كانت روسيا قد حددت موقفها الإيجابي من الموافقة على إرسال قوات دولية إلى العراق، فإنها لم تحدد فيما إذا كانت ستوافق على إرسال قوات روسية ضمن هذه القوة الدولية. فقد قال يوري فيدوتوف– نائب وزير الخارجية الروسي لوكالة انترفاكس الروسية "انه من السابق لا وانه الحديث عن دور لروسيا في قوة عسكرية دولية مستقبلية" [٤] . وبعد أن رأت روسيا أن مسألة مشاركة جنودها غير مطروحة في الوقت الراهن، إلا إنها يبدو مستعدة لدعم قرار أمريكي في مجلس الأمن، ينص على نشر قوة متعددة الجنسيات بقيادة أمريكية، وتحصل مؤسسات روسية في المقابل على ضمانة بالإبقاء على عقودها النفطية في العراق.[٥] يبدو أن الرد الروسي المبدئي على على المقترح الأمريكي بتشكيل قوة متعددة الجنسيات بقيادة أمريكية مفوضة من الأمم

---

[1] Ibid.

[٢] صحيفة التآخي (العراق)، العدد ٤٠٦٣،الاثنين ١ أيلول ٢٠٠٣

[3] Stars and Stripes (mideation) , Sunday, September 21,2003.

[٤] صحيفة التآخي (العراق)، العدد ٤٠٦٣، الاثنين ١ أيلول ٢٠٠٣

[٥] صحيفة التآخي (العراق)، العدد ٤٠٧٩، الثلاثاء ٢٣ أيلول ٢٠٠٣.

المتحدة، كان مشوشاً. فوزير الدفاع الروسي قال "انه سوف لن يستبعد إرسال قوات لمثل هذه المهمة"، لكن المشاركة الروسية سوف تتعلق على الصياغة التي سيخرج بها القرار النهائي لمجلس الأمن". "وفيما إذا كان سيمر بالإجماع"، كما قال وزير الخارجية الروسي ايغور ايفانوف.[١] بينما يرى احد المحللين الغربيين بأنه أظهرت إحداث إيران والعراق وكوسوفو كم يصعب على روسيا ان تحقق أكثر من تأثير تلطيفي أو تأخيري على المبادرات الغربية في الأمم المتحدة وسواها [٢].

وفيما يتعلق بالموقف الروسي من العمليات العسكرية التركية في شمال العراق فقد قال ميخائيل كامينين – الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الروسية " ندعو الإطراف المعنية إلى البحث عن طرق سياسية لتسوية المشكلات الحادة القائمة بينهم انطلاقا من مصالح البلدين واحترام سيادة ووحدة أراضي العراق وبهدف ضمان الأمن والاستقرار في المنطقة عموما" . وشدد أيضا " على ضرورة عدم السماح باستخدام أراضي هذه الدولة أو تلك كقاعدة لتنفيذ النشاط الإرهابي ضد الدول المجاورة " مشيرا إلى " ان موسكو تواصل وبانتباه شددي بمبادئ القانون الدولي خلال تسوية المشكلات الحادة القائمة بين الدول وقد جرى لفت نظر الجانب التركي إلى ضرورة التحلي بضبط النفس والأخذ بعين الاعتبار ان التصعيد العسكري قد يؤدي إلى تعقيد شديد في الوضع الإقليمي المعقد أصلا" [٣] . وعندما سئل صحفيون أمريكيون بوتين ما إذا كانت روسيا ستدعم أمريكا في حال بدأت واشنطن عملية عسكرية ضد العراق عبر في البداية عن أمله بحل المشكلة في أطار الأمم المتحدة ثم أضاف " لكن هذا لايعني بان روسيا في المستقبل تحت ظروف معينة لن تعمل سوية مع أمريكا لحل مشكلة الإرهاب في أطار من التحالف " [٤] . يبدو أن المبررات الأمريكية بالهجوم العسكري على العراق تحت دعوة محاربة امتلاك أسلحة الدمار الشامل ومنع الإرهابيين من امتلاكها، لم تكن هذه الذريعة مقنعة بالنسبة لروسيا. فقد حذر ايغور ايفانوف وزير الخارجية الروسي في اجتماع لوزراء خارجية منظمة شنغهاي للتعاون بان "الأسرة الدولية يجب أن تدرك أن مشكلة الإرهاب لن تحل بمجرد تسوية المشكلة العراقية".[٥] بينما قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في تصريحات نقلتها وكالة ريا نوفو ستي الروسية "انه للمرة الأولى يترسخ الإرهابيون في العراق... وان هذه عملية خطيرة للغاية وكلما استمرت ازدادت خطورة". وجدد بوتين معارضته للتدخل العسكري الأمريكي في العراق ووصفه بأنه كان خطأً.

وقال "لم يكن ضرورياً إطلاقا.. وهذا ما يثبته مجرى الأحداث". و أضاف "أن الوضع في العراق لا يشكل خطراً على بلدنا بل على نظام القانون الدولي برمته"

---

[١] صحيفة الاتحاد (الإمارات)، العدد ١٠٢٩٠، الأحد ٧ أيلول ٢٠٠٣.

[٢] بال دوناي وزدز سلولا تشوفسكي، الأمن والمؤسسات الاورو- أطلسية ، التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي، الكتاب السنوي ٢٠٠٧، بيروت، ٢٠٠٧، ص .١٢٣.

[3] http:// www. Elaph.com

[1] ليليا شفتسوفا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٩ .

[١]. وخلال لقاءه مع طلاب كراسنويارسك في سيبيريا، حذر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين من أن الإرهاب يترسخ في العراق، ففي تصريحات نقلتها وكالة ريانوفوستي الروسية، قال فلاديمير بوتين "بأنه للمرة الأولى يترسخ الإرهابيون في العراق". ورأى ان هذه عملية خطيرة للغاية وكلما استمرت ازدادت خطورة [٢]. علاوة على ذلك تدين روسيا الارهاب والنشاط الإرهابي في العراق لأنها تعاني منه في داخل حدودها . فقد قال سيرغي ايفانوف وزير الدفاع الروسي "نحن ندينها إدانة شديدة" ولايمكن لعاقل يباركها بأي شكل من الإشكال لكننا مقتنعون بان العراقيين وحدهم يستطيعون في خاتمة المطاف دحر الارهاب وضمن هذا السياق نؤيد مايجري اليوم من عمل على تشكيل أجهزة أمنية وبناء نواة لجيش عراقي جديد"[٣].

كما أكد ايغور ايفانوف رئيس مجلس الأمن القومي الروسي خلال زيارته إلى العراق في ١٣ تشرين الثاني ٢٠٠٥ " تأييد روسيا الجهود التي تبذلها القيادة العراقية في محاربة الإرهاب الدولي " مشددا على" أنها يمكن إن تعتمد على بلاده في ذلك " . وأضاف " أن روسيا تتعاون مع مختلف الدول من اجل ضرب الإرهاب الذي يمثل عدوا مشتركا شريرا يواجه العالم في القرن الحادي والعشرين " . وعبر عن تعاطفه مع ضحايا الإرهاب في العراق من الأطفال والنساء والشيوخ . وأكد قائلا " نحن منفتحون في هذا المجال وسنقدم الدعم للقيادة العراقية لمحاربة الإرهاب " [٤].

اذ حذر الروس من أن يتحول العراق في المستقبل إلى مركز لنشر النشاط الإرهابي)وذكر اناتولي سافونوف مبعوث الرئاسة الروسية لشؤون مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة في مؤتمر صحافي " أن خطورة الوضع في العراق تكمن في أمكانية تحوله في المستقبل إلى مركز لنشاط الإرهابي " . وقال أيضا " أن العراق تحول حاليا إلى ملجأ للإرهابيين وان المرحلة الثانية ستشهد رحيل هؤلاء الإرهابيين وانتشارهم في أنحاء مختلفة من العالم ... وان الأساليب والوسائل التي يستخدمونها الإرهابيون في العراق انتقلت مؤخرا إلى أفغانستان وباكستان وأدت إلى مقتل رئيسة وزراء باكستان السابقة بنظير بوتو وإعداد كبيرة من المدنيين وهي أساليب تنظيمات القاعدة " [٥].

وفيما يتعلق بالموقف الروسي من قضية محاكمة صدام وصدور حكم الإعدام بحقه . قال فيدوتوف –نائب وزير الخارجية الروسي" أن إلقاء القبض على صدام حسين لا يوقف العنف هناك... و لا يقود لأي تغير مهم للوضع في العراق وأي واحد يرى ذلك [٦] . فقد أكدت روسيا على عدم جواز التدخل الخارجي في أعمال

---

(2) صحيفة الرأي (الأردنية) ، العدد ١١٧٦٠ ، الأحد ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٢ .
(3) صحيفة الشرق الأوسط (لندن – بغداد) ، العدد ٩٢٢٣ ، السبت ٢٨ شباط ٢٠٠٤.
(4) صحيفة القدس العربي (لندن) ، العدد ٤٥٩٢ ، السبت / الأحد ٢٨،٢٩ شباط ٢٠٠٤ .
(5) http:// www. alarabiya.com
(6) http:// www. Elaph.com
(٥) صحيفة العدالة (العراق) ، العدد ١١٧٧ ، الأحد ٢٠ كانون الأول ٢٠٠٧ .
(6) Vladimir isachenkov, Russia Links Iraq debt relief companies, http: // www. Odious debts. Org.

أعمال القضاء لدى محاكمة مواطن في أي بلد كان . إذ قال ميخائيل كامنيين الناطق باسم وزارة الخارجية الروسية " بأنه انطلاقا من أن محاكمة مواطن في أي بلد كان ومهما كان المنصب الذي يتولاه سابقا تعتبر شانا داخليا لهذه الدولة فان محاكمته يجب أن تتم وتنجز دون أي أيعاز من الخارج ونحن نعتقد أن إصدار الحكم لاسيما في قضية حساسة كهذه حيث تجري محاكمة الرئيس العراقي السابق يجب أن يتم دون أي اعتبارات سياسية وعلى أساس قانوني دقيق " . وأشار أيضا إلى " انه من الواجب في الظروف الصعبة التي يمر بها العراق وتخلق المصاعب على طريق أحلال الوفاق الوطني عبر الحوار الواسع بمشاركة جميع الأطراف السياسية والقومية والطائفية " [١].
وفي يوم ٣١ كانون الأول ٢٠٠٦ أعلن ميخائيل كامنيين أن إعدام صدام قد يؤدي إلى تدهور الوضع العسكري والسياسي في العراق وتصعيد التوتر العرقي والديني في البلاد . ونقلت وكالة ايتار–تاس الروسية عن ميخائيل كامنيين قوله " أن روسيا مثلها كمثل دول أخرى عديدة تعارض عقوبة الإعدام– دون اعتبار للدوافع وراء هذه الإحكام التي تصدرها المحاكم " . وأشار أيضا" آسفا إلى تجاهل السلطات العراقية بشان عدم تنفيذ حكم الإعدام". وقال أيضا " أن العواقب السياسية لتنفيذ حكم الإعدام على الرئيس العراقي السابق يجب أن تؤخذ في الاعتبار في هذا الوضع على الأقل لان مصير صدام هو مشكلة حساسة جدا في المجتمع العراقي" . وتأمل روسيا في تحلي الشعب العراقي بالحكمة وتؤيد الساسة العراقيين ذوو التأثير الذين يحثون مساندیهم على ضبط النفس وعدم الوقوع في براثن أي تحريض محتمل والبحث سويا عن سبل حل الوضع الصعب في العراق . وأضاف أيضا" أن روسيا من جانبها مستعدة لتقديم المساعدة بأية وسيلة لتحقيق الاستقرار الشامل في العراق على أساس متبادل. فضلا عن "مشاركة في الجهود الجماعية من قبل المجتمع الدولي " [٢] .

وعندما وجهت اتهامات جنائية بارتكاب أعمال وحشية وإساءة المعاملة ضد معتقلين عراقيين من قبل ستة جنود أمريكيين في سجن أبو غريب، قال يوري فيدوتوف نائب وزير الخارجية الروسي أن الأمم المتحدة يجب أن تحقق في اتهامات جنود أمريكيين وبريطانيين بممارسة التعذيب في العراق. وقد ابلغ يوري فيدوتوف وكالة انتر فاكس الروسية للأنباء "أن هذا التعذيب يعد انتهاكاً سافراً لحقوق الإنسان ويعقد عملية إقرار النظام في العراق ويزيد من الاستياء من الاحتلال الأجنبي... ونعتقد أن هذه المسألة يجب أن تفحصها لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة "[٣] . كما جعلت كل المحطات التلفزيونية الروسية من الوحشية للإخفاقات الأمريكية موضوعاتها اليومية الرئيسة . بإمكان المرء أن يشعر بان وسائل الإعلام الروسية كانت تحاول عن قصد توجيه أصبعها إلى الأمريكيين من اجل دفع الأمريكيين إلى نسيان انتهاكات

---

(1) http:// www. Elaph.com
(2) http:// www. xinhuanet.com
(٣) صحيفة المشرق (العراق) ، العدد ١٠٧ ، الخميس ٦ آبار ٢٠٠٤ .

حقوق الإنسان الروسية وورطتها في الشيشان . لقد أظهرت الحملة الدعائية الرسمية الروسية أن الكرملين كان يستخدم معاداة أمريكا من اجل إزاحة الانتباه عن الحرب القوقازية. إذ قدمت وسائل الإعلام الروسية معلومات تفصيلية وحية عن الفضائح في سجن أبو غريب لكن النبرة الانتقادية للتقارير الإخبارية كانت تفوح منها رائحة النفاق لان المعاملة السيئة للمساجين والتي كانت في العادة اشد وحشية لطالما كانت هي المعيار في روسيا . ومن غير المرجح أن تكون معاملة الجنود الروس للشيشانين وخاصة السجناء من المتمردين الشيشانين تجري وفق معايير متمدنة ثابتة [١]. ولكن كانت هناك أحداث أخرى أظهرت أن الأمريكيين وجدوا الأساليب المناسبة لمعالجة فضائحهم وذلك من خلال الشفافية) والتحقيق العلني في سلوك الجيش والنقاش العلني حول أسباب وانعكاسات الحرب العراقية بينما ما تزال القيادة الروسية وطبقتها السياسية تفضلان أخفاء الحقيقة حول وحشية وجرائم قواتها في القوقاز الشمالي في محاولة سوفيتية نموذجية للحفاظ على هيبة الدولة [٢]. كما حذر سيرغي لافروف وزير الخارجية الروسي من أخطار تقسيم العراق داعيا العراقيين إلى إطلاق حوار وطني شامل بهدف التوصل إلى وفاق بينهم بالتعاون مع الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية والدول المجاورة وفي مقدمها سوريا وإيران . وقال لافروف أن سياسة أمريكا في العراق والحرب الإسرائيلية على لبنان اثبتا " فشل سياسة الاعتماد على القوة") التي اعتبرها مدخلا خاطئا لحل الأزمات ويمكن أن يسفر عن تعقيدات أضافية واسعة [٣]. فضلا عن ذلك تعد اللقاءات الرسمية بين مسئولي روسيا والعراق وسيلة مهمة لتعزيز وتطوير العلاقات بين الدولتين . ففي ٨ أيار ٢٠٠٨ التقى الرئيس العراقي جلال طالباني يفجيني بريماكوف رئيس غرفة التجارة والصناعة الروسي رئيس وزراء ووزير الخارجية الروسي الأسبق . ووصف الرئيس العراقي السيد بريماكوف بالصديق للعراقيين عامة وللشعب الكردستاني خاصة وعبر عن أمله بان تساهم هذه الزيارة في تعزيز العلاقات بين الاتحاد الروسي والعراق"[٤]. كما أعرب يفجيني بريماكوف عن سروره بزيارة اقليم كوردستان) مشيدا بالتطور الكبير والسريع الذي يشهده الإقليم[٥]. ودعا بريماكوف أيضا خلال مؤتمر صحفي مقتضب عقده في مطار السليمانية إلى تطبيق العاجل للمادة ١٤٠ من الدستور وإعادة كركوك إلى الخارطة الإدارية لحكومة اقليم كوردستان". وأضاف " لست مسؤولا رفيعا في الحكومة الروسية لأعرب عن موقفها" ولكنني أرى أن قضية كركوك قضية عراقية بحية وأدعو بصفة شخصية إلى تطبيق العاجل للمادة ١٤٠ وضم كركوك إلى اقليم كوردستان لان الغاية من ضمها ليست النفط أو ثروات المدنية التي لاشك أنها ستنضب بل أن الغاية هي

---

(١) ليليا شفتسوفا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .
(3) http:// www. Dar alhayat .com
(4) http:// www. alitthad .com
(5) http:// www. pukmedia .com/ news.

مدينة كركوك نفسها كمركز ثقافي"[١]. وإثناء مؤتمر القمة العربي في السعودية) استقبل الرئيس العراقي جلال طالباتي في مقر أقامته بالرياض الكسندر سلطانوف الممثل الخاص للرئيس الروسي للشؤون الشرق الأوسط واستعرض الرئيس العراقي لضيفه التطورات السياسية والأمنية في العراق وخاصة خطة فرض القانون وسير عملية المصالحة الوطنية. وأكد أيضا على ضرورة تطوير العلاقات الثنائية بين العراق وروسيا بما يتلائم وعمقها التاريخي[٢]. وفي ٦ نيسان ٢٠٠٨ استقبل الرئيس العراقي جلال طالباني في بغداد السفير الروسي لدى العراق فلاديمير تشاموف . وشدد الرئيس العراقي على أهمية تطوير العلاقات العراقية –الروسية مؤكدا أن القادة السياسيين في العراق يتطلعون إلى توطيد روابط الصداقة بين البلدين لمافيه الخير والمصلحة المشتركة للشعبين العراقي والروسي[٣].

يتضح مما تقدم. أن المصالح المشتركة بين روسيا وأمريكا في محاربة الإرهاب الدولي ونزع أسلحة الدمار الشامل والعلاقات التجارية بينهما هي اكبر بكثير من العلاقة بين العراق وروسيا. إذ تميزت العلاقات بين روسيا وأمريكا بالتعاون على كافة الأصعدة الأمنية والسياسية والاقتصادية.

الفصل الثاني
الموقف الاقتصادي لروسيا من العراق
ما بعد ٢٠٠٣

ان تعرض الحرب الاستثمارات الروسية في البلد إلى الخطر من بينها عقود بمليارات الدولارات. فضلاعن ذلك كانت روسيا تخشى من أن يعمل النفط العراقي المستقبلي على تخفيض اسعار النفط العالمية ولاسيما وان العوائد النفطية كانت ما تزال المصدر الأساسي للتنمية الاقتصادية الروسية[٤]. يبدو أن الساسة الروس يحاولون وضع التجارة على سلم أولويات السياسة الخارجية الروسية) وهذا التحول واعد لاسابق له على الساحة الدولية حيث كانت روسيا تهتم دائما بإظهار قوتها أكثر من أي شيء أخر حتى عندما كان ذلك يعني خسارة المنافع الاقتصادية[٥]. أن الجدل الذي أثير حول العراق يظهر أن حدوث صراعات مصالح جديدة بين روسيا وأمريكا أمر ممكن) وان هذه الصراعات يمكن أن تصبح شديدة أذا ما أخفقت موسكو في حل المشاكل البنيوية للتنمية الاقتصادية في روسيا[٦]. كما أثارت أمريكا ضجة

([1]) http:// www. almalafprees .net.
([2]) http:// www. Iraqipresidency .net.
([3]) Ibid.

([4]) ليليا شفتسوفا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٩ .
([5]) المصدر السابق ، ص ١٩١ .
([6]) المصدر السابق ، ص ٣١٠ .
([7]) صحيفة الشرق الأوسط (لندن – بغداد) ، العدد ٩١٤٤ ، الخميس ١١ ديسمبر ٢٠٠٣ .
([8]) صحيفة الشرق الأوسط (لندن – بغداد) ، العدد ٩١٥٠ ، الأربعاء ١٧ ديسمبر ٢٠٠٣ .

كبيرة بقرارها استبعاد الشركات الفرنسية والألمانية والروسية والكندية وكذلك شركات من دول أخرى رفضت المشاركة في التحالف العسكري في العراق وبررت أمريكا استبعاد هذه الشركات بمسائ " أمنية أساسية" لأمريكا وبضرورة تشجيع دول أخرى على إرسال قوات إلى العراق [1]. بينما يرى الروس) بان تصريحات المسؤولين الأمريكان باحتمالية استبعاد الدول التي لم تشارك في التحالف من عقود أعمار العراق بان هذا الامر يعد امر غير مقبول. فقد قال نائب وزير الخارجية الروسي الكسندر سلطانوف لوكالة الإنباء الروسية "ريا –نوفوستي" "من غير المقبول أن يقرر طرف وحده أي دول يجب أن تشارك في أعادة أعمار الاقتصاد العراقي"" مشددا على ان "روابط اقتصادية متينة وقديمة تجمع بين العراق وروسيا". وأضاف أيضا " بان هناك دائما وسيلة للدفاع عن مصالحنا"[٢]. ولكي تظهر غضبها مع نمو التحدي الروسي لخطط الحرب الأمريكية، فان الولايات المتحدة لجأت إلى الابتزاز الاقتصادي، وحذرت روسيا بأنها تخاطر وتعرض للخطر محاولات انضمامها لمنظمة التجارة العالمية لو هي اعترضت على قرار مجلس الأمن الدولي. كما وان روسيا تخاطر كذلك بتحمل استمرار إذلال العهد السوفيتي ومحددات التجارة الأمريكية تكون مقفلة في عراق ما بعد صدام حسين، هذا ما قاله أحد الدبلوماسيين الأمريكان. ويفهم الروس بأن درجة مشاركتهم في ترتيبات ما بعد صدام سوف يكون مؤثر بصورة مهمة بالدرجة التي هم يروها بالمساندة أو عدم عرقلة قرار على الأزمة. واعتقد بأنهم يفهموا بان هناك ستكون نتائج سلبية للاعتراض على مصالح روسيا في العراق.[٣] بينما يرى المعلق الروسي ديمتري كوزيريف" بان روسيا ربحت الكثير بعدم دخولها كبعض البلدان في صفوف التحالف المعادي للعراق في اللحظة الأخيرة، وعدم إرسالها قوات عسكرية إلى العراق، والتي ما كان لها أن تلعب هناك أي دور سوى الرمز إلى رغبة روسيا الصادقة في الحصول على بعض الفتات من العقود العراقية المقبلة. أن المال يبدو بمثابة صلب الخلاف بين الجناح الموالي لأمريكا والجناح الموالي لأوربا في أوساط الساسة والخبراء الروس. والموالون لأمريكا الموجودون في وضع غير مريح أدبياً يتهكمون وهم يذكرون بالدين العراقي غير المسدد وبالعقود النفطية غير المحققة. المال طبعاً أمر جيد، ولكن هذه المليارات التي يأملها الساسة الروس أنصار التحالف الشامل مع الولايات المتحدة، استولى عليها أولئك الذين خططوا للحرب مسبقاً. وهذا الواقع يتنامى الآن في الولايات المتحدة ليضحي أزمة سياسية كبيرة والأطراف الحريصة على الأزمة هي في الغالب الشركات الأمريكية التي لم تحصل على شيء. أما الغرباء وغيرهم من الحلفاء فلا احد يحسب لهم هناك حساباً. وفي جوقة (حلف المتطوعين) ما كان لروسيا أن تحصل على دخول كبيرة. ولم يعرض عليها أحد مثل هذا الأمر. لقد ربحت روسيا ما من انتهاء مرحلة اللاوضوح، حيث بقيت عقودها

([1]) Catherine belton, op. cit

النفطية مع العراق سنوات سراباً بما أن تنفيذها كان مقرراً بعد أن تلغى العقوبات المفروضة على العراق، وهو ما جهدت أمريكا لمنعه بأي ثمن.(١)

اولاً: العلاقات الاقتصادية الروسية العراقية

كان العراق من أهم الشركاء التجاريين لروسيا في منطقة الشرق الأوسط، فقد بلغت الديون الروسية على العراق تقريباً ٨ مليارات دولار، اغلبها ديون ورثتها من الاتحاد السوفيتي السابق، ويعود القسم الأكبر من المبلغ المستحق لروسيا لصفقات سلاح أبرمت في حقبة الثمانينات خلال الحرب العراقية–الإيرانية.

كما ان روسيا كانت من أهم الدول المصدرة للعراق في إطار برنامج النفط مقابل الغذاء. وإذا ما علمنا صعوبة الوضع الاقتصادي الروسي والاتهامات الروسية للولايات المتحدة بمحاولة الانفراد "بالكعكة العراقية"، لكان من المنتظر أن تتمسك روسيا بديونها، وحجتها في ذلك أعلنها خبراء الاقتصاد والسياسة الروس، وهي أن روسيا دفعت الديون المستحقة على الاتحاد السوفيتي رغم سقوطه وعدم شرعيته.(٢) وفي تصريح لوكالة انتر فاكس الروسية، قال يوري فيدوتوف–نائب وزير الخارجية الروسي "لا نعتقد أن مساعدة العراق ينبغي أن تقتصر على الهبات... وان روسيا لا تعتقد أن الظروف مناسبة حتى تقدم روسيا هبات... نعتقد أن مشاريع استثمار مماثلة يمكن أن تكون مفيدة للغاية وينبغي اعتبارها مساهمة ضخمة وحقيقية من روسيا في إعادة أعمار العراق" . (٣)

كما نفى الكرملين ان يكون اتخذ قراراً بخفض ثلثي الديون العراقية، إذ قالت روسيا أنها "مستعدة للنظر في ذلك" فقط أذا سمح للشركات النفطية الروسية العمل في العراق. وقال مسؤول في الكرملين لوكالة فرانس بريس "ان العراقيين على ما يبدو تسرعوا في الاستنتاج". واضاف المسؤول "أن روسيا أعربت فعلاً عن عزمها دراسة إعادة جدولة الديون العراقية في اطار نادي باريس لكنها تنظر إلى هذه المسالة في نطاق أوسع. وتعتزم القيام بمبادرة إزاء العراقيين فقط إذا أخذت مصالحها في الاعتبار.. إذ أن الأمر يتعلق بمشاركة شركاتنا في القطاع النفطي في العراق".

وشدد المسؤول على ان الأمر لا يتعلق بإلغاء ٦٥% من هذه الديون هكذا بدون مقابل، لم نتخذ بعد هذا القرار ونحن مستعدون لدراسته". وقال المسؤول "ان العراقيين هم الذين تحدثوا عن نسبة ٦٥%. أنها رغبات أخذت على إنها واقع... لكننا مستعدون لتخفيف عبء الديون العراقية" . (٤) كما قال سيرغي ايفانوف وزير الدفاع الروسي "لدينا طبعا مصالح اقتصادية في العراق وفي مقدمتها على سبيل المثال الديون المستحقة لروسيا والتي تقدر بعدة مليارات من الدولارات نحن مستعدون لإعفاء العراق من نصف تلك الديون أننا نقدر الوضع الحالي في العراق لكننا على

---

(2) www. Palestine- info.

(2) http: // www. islam on line

(٣) صحيفة التآخي (العراق) ، العدد ٤١٠٠ ، الأربعاء ٢٢ تشرين الأول ٢٠٠٣

(٤) http:// www.nahrain.com.

يقين بان العراق ليس أفغانستان) انه بلد غير فقير وسيكون من مقدوره مستقبلا سداد الديون ومن اجل ذلك لابد طبعا من مساعدة العراق والنهوض باقتصاده لدينا عدة اتفاقيات لدينا عدة اتفاقيات وعقود هامة لم يلغها احد وليس بوسع احد إلغاؤها وعاجلا أم آجلا سيستأنف العمل بها[١]. بينما شدد هوشيار زيباري وزير الخارجية العراقي خلال زيارته لروسيا) وفي حديث نشرته صحيفة (فريميا نوفوستي) على ان الشركات الروسية سيكون لها دور مهم في أعمار بلاده"" واضاف "ان الحكومة العراقية ستحافظ على مبدأ التوازن في علاقاتها مع كل الإطراف " " مشيرا إلى " مصالح مشروعة لروسيا في العراق وحقها في المساهمة في أحياء اقتصاد هذا البلد و وأكد ان بلاده لاتربط في أي شكل مسالة الوجود العسكري ضمن قوات حفظ السلام وهو الامر الذي يرفضه الروس بشدة بالعقود الموقعة مع شركات روسية"[٢].

إضافة إلى ذلك، وعلى هامش اجتماع وزراء مالية الدولة الصناعية السبع الكبرى في منتجع بوركاراتون–فلوريدا الأمريكية، قال وزير المالية الروسي اليكسي كودرين "ان روسيا تتوقع شطب ٦٥%من ديون العراق المستحقة لها والتي تبلغ ثمانية مليارات دولار مع استبعاد الفائدة... اذ ان شروط نادي باريس تنطبق على العراق لكن في الحالة العراقية فان شطب الديون سيكون بنسبة ٦٥% وليس ٨٠%".[٣] وفي إطار حملتها لتخفيف الديون العراقية أوكلت الولايات المتحدة إلى وزير خارجيتها الأسبق جيمس ببكر– ، مهمة القيام بجولة دولية لتخفيف أو إلغاء الديون العراقية، وكانت روسيا إحدى أهم المحطات في هذه الجولات الدولية. اذ التقى جيمس بيكر مع الرئيس الروسي في ١٨ كانون الأول ٢٠٠٣، في مسعى لإقناع روسيا بالانضمام إلى فرنسا وألمانيا في تخفيف المحنة المالية للعراق .[٤] وبعد اجتماع المبعوث الأمريكي الخاص جيمس بيكر، قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بأنه مستعد لمناقشة تخفيف ديون العراق في جماعة غير رسمية للدائنيين بتنسيق إعادة جدولة الديون. وشدد بوتين، مع ذلك، بان روسيا سوف تتفاوض على المسألة (يأخذ بعين الاعتبار المصالح الاقتصادية لروسيا والشركات الروسية في العراق). وكانت العقوبات الدولية المفروضة على العراق، تؤذي التعاون الاقتصادي بين روسيا والعراق لاسيما في المشاريع النفطية والصناعات الثقيلة. وأكد يوري فيدوتوف–نائب وزير الخارجية الروسي "بان روسيا سوف تقف الى جانب حق الشركات الروسية لكي تكون مشاركة في أعادة البناء". وقال فيدوتوف بان العقود الكبيرة الموقعة بين الشركات الروسية ونظام صدام معلقة بعد الحرب. ويتمنى بان القيادة العراقية الجديدة المنتخبة بعد فترة الانتقالية الحالية سوف تؤيدهم[٥] . والجدير بالذكر، ان شركة لوك أويل النفطية الروسية

---

[١] **http:// www.alarabiya.net.**
[٢] **http:// www.daralhayat.com.**
[٣] **صحيفة الصباح (العراق) ، العدد ١٨٢ ، الاثنين ٩ شباط ٢٠٠٤**
[٤] **صحيفة الزمان (لندن ـ بغداد) ، العدد ١٦٨٩ ، السبت ٢٠ كانون الأول ٢٠٠٣**
[٥] **Vladimir Isachenkov,op.cit..**

العملاقة، قد حصلت على عقد بقيمة ٣.٧ مليار دولار لحقل غرب القرنة العملاق والذي وقع في عام ١٩٩٧، والتي ألغته حكومة الرئيس العراقي السابق صدام حسين، والتي قالت بان الشركة لم تجر أي أعمال وإنها سعت للحصول على ضمانات أمريكية بصحة العقد، إذا تولت الأمور حكومة عراقية جديدة. بينما تصر شركة لوك أويل ان العقد ما زال سارياً وهو موقف تؤيده السلطات الروسية.[١] فضلا عن ذلك أكدت حكومة صدام بان سبب إلغاءها العقد مع الشركة الروسية يعود إلى أخلالها بشروط العقد وليس لأسباب سياسية كما هو شائع ومن اجل التخفيف من وطئة هذه الإجراءات قام العراق في كانون الثاني ٢٠٠٣ بمنح عقدا لشركة سترويترا سنغاز الروسية لأعمال التشييد في مجال النفط والغاز لتطوير المنطقة (٤) في غرب العراق[٢].

بينما يرى البعض بان فسخ نظام صدام العقد بعد ان امتنعت شركة لوك أويل متعهدة المشروع في المباشرة بالعمل قبل الغاء العقوبات الدولية على العراق) لأنها لم تود ان تجازف بمشاريع واعدة في أمريكا والغرب[٣]. فقد أشار السفير بول بريمر بأنه " فيما يتعلق بالقرار ١٤٨٣ يوضح بان باستطاعة أعضاء الأمم المتحدة إرسال القوات . وسيحاول الروس اللعب بالحصول على ضمانات بشان القروض المستحقة لهم وعقود النفط التي وقعوها مع صدام"[٤]. بينما اعتبرت روسيا إعلان العراق إلغاء عقوده النفطية مع الشركات الروسية محاولة لمعاقبة روسيا لمساندتها القرار الدولي حول نزع الأسلحة العراقية. فقد نقلت وكالة انتر فاكس الروسية عن ليونيد فيدون نائب رئيس شركة لوك أويل النفطية الروسية "بان قرار السلطات العراقية محاولة لمعاقبة روسيا أو الضغط عليها بعد أن دعمت روسيا القرار الدولي حول عودة المفتشين إلى العراق".[٥] العراق".[٥]

ثانياً: رؤية روسيا للعلاقات الاقتصادية مع العراق بعد اذار ٢٠٠٣.

يبدو أن اهتمام روسيا الرئيسي بالعراق اقتصادي بحت ولا ضرورة لربطه بصدام حسين، اذ ان روسيا ليس لها أي مصلحة في إثارة غضب الولايات المتحدة إزاء الإطاحة به. فقد قال اليكسي ارباكوف–نائب رئيس لجنة الدفاع التابعة لمجلس الدوما الروسي "لنا مصالحنا الاقتصادية الخاصة بنا في العراق، وان الاستقرار الإقليمي وعدم انتشار الأسلحة أمر مهم بالنسبة لروسيا... وقد يكون أفضل تحرك تقوم به روسيا هو السعي إلى ضمانات بان يحترم أي شخص يخلف صدام حسين مصالح روسيا الاقتصادية والتي تشمل التنقيب في حقول النفط العراقية وتجارة

(5 http:// www.daralhayat.com.

(6 صحيفة القدس العربي (لندن) ، العدد ٤٣٦٧،الخميس ٥ حزيران ٢٠٠٣.

(1 http : // www. elaph. Com.

(2) بول بريمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٧ .

(5) http : // www. alwatan. Com.

(4) http : // www. Islam on line .com

الأسلحة بعد ما رفعت عقوبات الأمم المتحدة عن العراق".[١] ففي زيارة السيد عبد العزيز الحكيم–رئيس مجلس الحكم الانتقالي إلى روسيا، قدمت روسيا اقتراح بشطب ٦٥ في المائة من ديون العراق لها، اذ قال السيد عبد العزيز الحكيم للرئيس الروسي فلاديمير بوتين "بان روسيا العضو الدائم بمجلس الأمن يمكنها الإسهام في ضمان دور منظمة الأمم المتحدة في العراق والإسراع بنقل السلطة للعراقيين. .. وبإمكان العراق ان يعتبر ألان ان الديون العراقية لروسيا تبلغ ٣.٥ مليار دولار في مقابل ثمانية مليارات دولار في السابق، وهذه الأرقام توازي خفضاً بنسبة ٦٥%.[٢] كما اختص السيد عبد العزيز الحكيم–رئيس مجلس الحكم الانتقالي، شركة لوك أويل الروسية العملاقة بالذكر قائلاً "ان العراق قد يحتاج لخبرتها لإعادة بناء صناعة النفط التي تعرضت لدمار". بينما قال ايغور يوسفوف وزير الطاقة الروسية بعد الاجتماع بين عبد العزيز الحكيم وفلاديمير بوتين بان المحادثات ستستأنف قريباً بشأن العقود التي وقعتها شركات روسية قبل الحرب.[٣] لذا يعتقد بان اللقاء الذي جمع بين السيد عبد العزيز الحكيم مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في روسيا، والتي من خلاله قال الرئيس الروسي بان (روسيا مستعدة لاستثمار بأربعة مليارات دولار فوراً في العراق)، هي إشارة مهمة للولايات المتحدة الأمريكية والشعب العراقي وللسياسيين العراقيين.[٤] كما ان العراق في حاجة إلى مساعدة تقنية من الشركات النفطية العالمية قبل ان يدعو الاستثمار الأجنبي إلى القطاع النفطي، فقد قال وزير النفط العراقي السابق إبراهيم بحر العلوم ان دولاً بينها اليابان والهند وروسيا عرضت المساعدة بما في ذلك شركة لوك أويل النفطية الروسية العملاقة ووزارة الطاقة الروسية التي تدرب ١٥ عراقياً، واضاف قائلاً "البداية متواضعة، ونحن نحتاج هذه الأطراف لتدريب الكثير من كوادرنا". مع ذلك، ان قبول العراق المساعدة من روسيا ربما يشير إلى استعداد العراق لعدم استبعاد روسيا من تطوير حقول النفط.[٥] ولم تتوقف شركة لوك أويل الروسية لضمان عقودها النفطية في العراق من محاولاتها عند التفاوض مع العراقيين والأمريكيين وإنما قامت بخطوات ملموسة لإثبات حسن النوايا باستقبالها للمجموعة الثانية من الخبراء العراقيين الذين وصلوا إلى روسيا للتدريب في شركة لوك أويل – سيبيريا الغربية وكانت المجموعة الأولى التي وصلت في أواخر يوليو ٢٠٠٤ وأنهت تدريبها وعادت إلى العراق ويتم تدريب الخبراء العراقيين وفقا لبنود مذكرة التفاهم والتعاون التي وقعها في ١٠ مارس ٢٠٠٤ في العراق رئيس الشركة وحيد اليكبيروف ووزير النفط العراقي إبراهيم بحر العلوم[٦] . إذ أن روسيا تأمل في ان تتمكن الشركات الروسية من المشاركة بصورة اكبر في إعادة أعمار العراق من خلال

---

(5) http : // www. nahrian .com
(6) Ibid.

(7) صحيفة الزمان (لندن ـ بغداد) ، العدد ١٧٠٣ ، الثلاثاء ٦ كانون الثاني ٢٠٠٤.
(1) صحيفة القدس العربي (لندن) ، العدد ٤٥٧٥ ، الاثنين ٩ شباط ٢٠٠٤ .
(2) http : // www. alarabiya.net

عقود مباشرة وليس تعهدات من الباطن. ففي تصريح لوكالة انتر فاكس الروسية، قال يوري فيدوتوف–نائب وزير الخارجية الروسي "يبدو ان الاحتمالات بهذا الصدد تزداد حالياً وقد تتمكن الشركات الروسية من الحصول على عقود مباشرة". ورأى الدبلوماسي الروسي "ان الإدارة الأمريكية تدرك على الأرجح ان التسوية الدائمة في العراق لن تكون ممكنة ألا بمشاركة أوسع للأسرة الدولية".[١] لذا حصلت روسيا على تأكيدات من الولايات المتحدة بان الشركات الروسية ستحصل على نصيب عادل من العقود في العقود في عراق ما بعد الحرب الذي تتطلع كبرى شركات النفط في العالم إلى احتياطاته النفطية الضخمة. فقد قال ايغور ايفانوف وزير الخارجية الروسي عقب اجتماع مع حلف شمال الأطلسي في مدريد "خلال اجتماعاتنا مع الإدارة الأمريكية تلقينا تأكيدات انه لن يكون هناك تمييز ضد الشركات الروسية". وأضاف "أن الشركات الروسية ستتافس شركات الدول الأخرى على قدم المساواة... ستوجه إلينا الدعوة لدخول مناقصات وستتاح لنا كل فرصة للحصول على عمل في إطار هذه العقود". بينما قال الرئيس الأمريكي جورج بوش لنظيره الروسي فلاديمير بوتين في سان بطرسبرغ "ان الأمر متروك للشعب العراقي فيما يتعلق بمسألة عقود النفط الحساسة". وتخشى روسيا احتمال أن تقتنص الشركات الأمريكية عقوداً ضخمة موقعة مع حكومة الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين. وقد يساعد قرار رفع العقوبات الدولية عن العراق، روسيا في الاحتفاظ بنصيبها من عمليات تطوير حقول نفط العراق لذا تصر روسيا على ضرورة احترام التعاقدات المبرمة، ورفضت أيضا دعوات البعض في الإدارة الأمريكية لإلغاء ثمانية مليارات دولار ديوناً مستحقة على العراق، لذا قال ايغور ايفانوف وزير الخارجية الروسي في مؤتمر صحافي انه وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم ١٤٨٣ فان مشكلة ديون العراق بما فيها الديون المستحقة لروسيا ستحسم من خلال آلية دولية مثل نادي باريس، وقال "ومن هنا تنوي روسيا متابعة الأمر تحت مظلة المنظمات الدولية".[٢] كما أشار وحيد اليكبيروف رئيس شركة لوك أويل الروسية إلى أن أية محادثات مع الشركاء الأجانب في هذا المجال لن تجري ألا بعد استقرار الوضع في العراق باعتبار أن المشروع ما زال مجمدا. في الوقت نفسه أفاد اليكبيروف أن التعاون مع الشركات الأمريكية في تنفيذ هذا المشروع سيكون مثمرا باعتبار أن أمريكا تسيطر على الوضع في العراق في الفترة الراهنة مما يعني أن شركة لوك أويل تواصل محاولاتها لاستعادة العقود الضائعة[٣]. وفي تعليقه على مصير عقود الشركات الروسية في العراق أشار السفير العراقي في روسيا عبد الكريم هاشم مصطفى في مؤتمر صحافي عقده في مقر وكالة نوفوستي إلى انه لم يتم التوصل إلى حل نهائي لهذه المسالة[٤]. إذ حصلت الشركات الروسية على

---

(3) صحيفة القدس العربي (لندن) ، العدد ٤٥٨٤ ، الخميس ١٩ شباط ٢٠٠٤ .
(٢) صحيفة القدس العربي (لندن) ، العدد٤٣٦٧ ، الخميس ٥ حزيران ٢٠٠٣ .
(2) http : // www. alarabiya.net
(3) http : // www. Ru4arab.ru.

بعض العقود النفطية في العراق. ففي بيان قالت شركة لوك أويل النفطية الروسية "أنها وقعت اتفاقاً مع مؤسسة أمريكية لتزويد العراق بالبنزين ووقود الديزل". وقالت "أن شركة ليتاسكو التابعة لها في جنيف، وقعت اتفاقاً مع شركة ريفا يناري اسوشيتس الأمريكية لاجل ثلاثة اشهر قابلة للتجديد لفترة تصل إلى ١٢ شهراً لتقديم ١٨٠ ألف طن من البنزين و ١٣٠ ألف طن من وقود الديزل كل ثلاثة أشهر للعراق بدأ من ". نيسان ٢٠٠٤.[١] وعندما أعلنت وزارة النفط العراقية من أن نحو ٢٠٠ شخص أو شركة أجنبية هم بينها تلقوا ملايين البراميل من النفط مكافأة لهم على دعمهم لنظام الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين، وكان من بين هؤلاء الأشخاص فلاديمير جيرينوفسكي–الزعيم القومي الروسي، ألا أن ناطق باسم فلاديمير جيرينوفسكي نفى تلقيه كميات من النفط العراقي، وقال أن الزعيم القومي الروسي الذي يقيم علاقات وثيقة جداً مع المسؤولين العراقيين السابقين ويزور بغداد في انتظام هو صديق شخصي لصدام حسين، لكنه يقول انه لم يتلق قط لا نفطاً ولا مالاً ولا أي عطايا مادية أخرى من الرئيس العراقي السابق أو حكومته". ونقل عنه أن " معلومات الصحافة العراقية هذه التي تسيطر عليها المحتلون تستهدف روسيا" [٢]. ويبدو أن المصالح الاقتصادية الروسية هي المحرك الأساسي الذي يدفع القادة الروس للتعامل مع القادة العراقيين، وليس هناك تحالفاً استراتيجياً بينهم. وكما يشير أحد المحللين العرب " بأننا إلى متى نتناسى –وما أكثر ذلك– انه لا روسيا ولا فرنسا ولا الصين تمانع في ضرب العراق حباً في الشعب العراقي، أو تعاطفاً مع حكومته المرفوضة عالمياً ؟ لماذا لا نتذكر أن محرك الدوران في علاقة روسيا بالعراق هو المصالح الاقتصادية والإستراتيجية" [٣] . كما ترى روسيا بان مصالحها الاقتصادية سوف تكون مضمونة أكثر أذا ما انتصرت الولايات المتحدة على العراق. فقد قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بان "الاقتصاد والمال الأمريكي مهم عالمياً وتطويرها يؤثر مباشرة على اقتصاديات روسيا وأوربا". وأشار فلاديمير بوتين بان ملايين الروس يدخروا الدولارات الأمريكية بينما ثلاثة أرباع العملة الصعبة المدخرة في البنك المركزي الروسي كانت مدخرة بالعملة الأمريكية". لذا يرى فلاديمير بوتين بان سياسة (التعاون مع الولايات المتحدة) هي في مصلحة روسيا، وهي لذلك في مصلحة الولايات المتحدة". وبسبب بحث مجلس النواب الأمريكي لاستبعاد روسيا من عقود إعادة أعمار العراق، قال المسؤولين الروس "بأنه من واجب الرئيس جورج بوش التأكيد بأن الأمم المتحدة أكثر من الكونغرس الأمريكي، المسموح لها بصنع القرارات حول إعادة أعمار العراق". بينما أولئك المسؤولين اعترفوا بصورة خاصة بأن المؤسسات الأمريكية سوف تكون حاصلة

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط (لندن ـ بغداد) ، العدد ٩٢٤٤ ، السبت ٢٠ آذار ٢٠٠٤ .
(5) صحيفة النهار (بيروت) ، العدد ٢١٨٥٨ ، الخميس ٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٤
(6) http://www.Islam.com
(7) Anthony Louis,op.cit.
(8) Martin Indyk, op.cit.

على حصة الأسد من تلك العقود، وان استبعاد المؤسسات الروسية من العملية سوف تكون غير مقبولة[١].بينما أعاد جورج بوش التأكيد لفلاديمير بوتين بأن المصالح التجارية الروسية في عراق ما بعد صدام سوف تكون محفوظة، كما اظهر عاطفة قوية للمأزق ألشيشاني لبوتين.[٢] كما ساهم وجود الخبراء والفنيين الروس في العراق بتطوير أعمار بعض القطاعات الصناعية المهمة لاسيما الكهرباء) ألا أن تدهور الوضع الأمني في العراق اثر بشكل كبير ليس على هذه المساهمة الروسية وإنما اثر على جهود أمريكا بتقديم الخدمات للشعب العراقي. فقد قال بول بريمر " بأنه في هذه الأثناء قتل المتمردون عددا من العمال الفنيين الروس في محطة الدورة لتوليد الطاقة مما حمل حكومتهم على الضغط على الشركات الروسية لكي تسحب كافة موظفيها المنتشرين في العراق. وبما أن ذلك يشمل عدة مئات من العمال المهرة فقد كان يهدد بتوجيه ضربة شديدة إلى جهودنا في مد الشبكات بمزيد من الطاقة الكهربائية" [٣] . وفي سؤال لقناة العربية هل تريد روسيا مساعدة العراق في استعادة سيادته واستقلاله واستقرار الوضع الأمني ؟ أجاب سيرغي ايفانوف – وزير الدفاع الروسي " نعم نريد وعبر التعاون الاقتصادي أيضا لكن تحقيق ذلك في اللحظة الراهنة أمر صعب للغاية مع الآسف وكانت لنا شركات عديدة تعمل في العراق واستمر عملها حتى بعد بدء العمليات العسكرية وانتهى كل ذلك بمقتل عاملين . فأصبح ترك العمال هناك جريمة المشكلة أن عمليات الاختطاف والقتل تطال الجميع لأفرق بين من شاركت دولهم في التحالف العسكري أم لم تشارك حتى لو تصورنا أن أجنبيا ما يرتدي القبعة الزرقاء الخاصة بقوات الأمم المتحدة [٤]. كما رحب الكسندر كينشاك–القائم بأعمال السفارة الروسية في العراق بأي تعاون مستقبلي بين الحكومة العراقية المنتظرة والشركات الروسية لتعيد الحياة إلى العلاقات الإستراتيجية. وان المتغيرات الجارية لا يمكنها التأثير على متانة العلاقات الدبلوماسية بين روسيا والعراق. وأكد استعداد بلاده استعداداً كاملاً للمساهمة في إعادة أعمار العراق تحت أي مظلة كانت كون بلاده لديها كافة الإمكانيات لإنجاز مثل هذه المشاريع وتمتلك الخبرة الممتازة في إنجاز هذه المشاريع.[٥]

وفي أطار تبادل الزيارات الرسمية بين المسؤولين الروس والعراقيين بحث السيد سركيس آغا جان نائب رئيس حكومة إقليم كوردستان وكالة مع وفد من سفارة جمهورية روسيا الاتحادية ضم السادة اليكسي سولوماتين المستشار ولوري كوزلوف سكرتيري السفارة يوم ٤ آذار ٢٠٠٤ الأوضاع السياسية للعراق والوضع القائم في إقليم كوردستان على وجه الخصوص واستعداد الحكومة الروسية للمساهمة في أعادة أعمار العراق وبالأخص في مجال الكهرباء وإزالة الألغام والسبل الكفيلة بتطوير العلاقات

([1]) بول بريمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٦٤.

([2]) http : // www. alarabiya.net

([3]) صحيفة الزمان (لندن ـ بغداد) ، العدد ١٥٤٢ ، السبت ٢٨ حزيران ٢٠٠٣ .

بين حكومة روسيا الاتحادية وإقليم كوردستان، حيث رحب السيد سركيس آغا جان بجهود الجانب الروسي لافتتاح قنصلية ومكتب تجاري روسي في الإقليم وعبر عن الاستعداد لتسهيل العمل في تلك المجالات.

كما زار الوفد الروسي أيضا محافظة اربيل والتقاه المحافظ فواز دهادي مولود وبحث الجانبان سبل تطوير العلاقات بين الحكومة الروسية الاتحادية ومؤسسات حكومة إقليم كوردستان فقد ابدىء الجانب الروسي رغبته في تطوير تلك العلاقات وفي جميع المجالات ومنها الصداقة بين المدن الروسية والكوردستانية وفي مقدمتها المباشرة بإقامة خط جوي روسي مباشر إلى مطار اربيل الدولي ومساهمة رؤوس الأموال الروسية في أعادة أعمار إقليم كوردستان[١]. كما اعتبر فلاديمير تشاموف افتتاح القنصلية الروسية في اربيل بأنه حدث سنة ٢٠٠٧ الرئيسي في العلاقات الروسية – العراقية. فقال السفير الروسي في حديث للصحفيين في روسيا " أننا عملنا على هذا المشروع سوية مع الجانب العراقي خلال مدة طويلة " . فقد وقع وزيرا خارجية روسيا سيرغي لافروف والعراق هوسيار زيباري وثيقة خاصة على هيئة مذكرة حول فتح قنصليتين روسيتين في مدينتين عراقيتين (اربيل والبصرة) (مع افتتاح قنصلية عراقية في المستقبل في روسيا ولربما في مدينتين أيضا. وأضاف السفير الروسي انه بعد افتتاح القنصلية العامة في اربيل " اقترح ممثلو غرفة التجارة في كوردستان تنظيم زيارة لوفد منهم إلى روسيا وفتح معرض تجاري دائم للسلع الروسية في اربيل وفيما يتعلق بفتح قنصلية روسية في البصرة أشار السفير الروسي بان هذا الأمر يتوقف على الوضع في جنوب العراق اذ قال " أننا ننتظر إشارات من الجانب العراقي ومن سلطات الدائرة الجنوبية وأننا من حيث المبدأ جاهزون " . ويرى السفير الروسي" أن العلاقات الاقتصادية الروسية – العراقية بدأت في عام ٢٠٠٧ تنتعش وتتقدم ... وتعمل في العراق ألان ما يقارب ١٠ شركات روسية وهي تعمل في مختلف الميادين وبصورة أساسية في مجال الطاقة الكهربائية . ويقوم ٨٠ شخصا من منتسبي شركة (اينتر اينبرغو سرفيس) بتصليح أهم محطة كهربائية بالنسبة لبغداد "[٢]. وأوضح السفير الروسي أيضا خلال كلمة ألقاها في افتتاح القنصلية الروسية في اربيل بأنه قد أصبح بإمكان مواطني كوردستان ألان الحصول على تأشيرة الدخول إلى روسيا من القنصلية بدلا من الذهاب إلى بغداد . أما رئيس وزراء إقليم كوردستان نيجرفان بارزاني) فقد اعتبر هذه الخطوة تعبيرا عن العلاقات التاريخية التي تربط الشعبين الروسي والكردي [٣]. بينما تشهد محافظة البصرة منافسة شديدة بين بريطانيا وروسيا) التي تبذل جهودا لاستعادة دورها السابق . وفي موقف يعكس جانبا من هذه المنافسة رفض مجلس محافظة البصرة منح استثمارات نفطية لبريطانيا على خلفية

---

(1) صحيفة التآخي (العراق) ، العدد ٤١٨٤ ، الأحد ٧ آذار ٢٠٠٤ .
(2) http : // www. elaph.com
(3) Ibid.

قرار المجلس بمقاطعة بريطانيا عقب الأحداث الأمنية التي شهدتها مدينة البصرة وفشل المسؤولون البريطانيون خلال اجتماعاتهم مع المسؤولين في المحافظة في الحصول على نتائج محددة .فيما أشار السفير الروسي لدى العراق فلاديمير تشاموف خلال زيارته للمحافظة بالاستقرار النسبي الذي تتمتع به . مشيرا إلى عزم بلاده المشاركة في بناء مشاريع للطاقة الكهربائية والنفط . وتشير التقارير المحلية . إلى أن السفير الروسي الذي استقبل بحفاوة من مسؤولي المحافظة على عكس المسؤولين البريطانيين وجد تجاوبا مع رغبة روسيا لإعادة الشركات الروسية لتنفيذ عقودها السابقة . إذ تحاول روسيا استغلال مشاعر العداء التي يكنها العراقيون لبريطانيا للدخول في المنافسة الاستثمارية بقوة معربة عن تحول هذه المشاعر إلى قرارات حازمة باستبعاد بريطانيا عن أي فرص استثمارية . كما أن شركة نفط الجنوب العراقية ركزت في مباحثاتها مع السفير الروسي حول أمكان عودة الشركات الروسية لتنفيذ عقودها المبرمة . وان نقص التمويل المالي لشركة نفط الجنوب يدفعها إلى البحث عن مستثمرين كبار وهذا ما وجدته الشركة في الجانب الروسي [1]. كما اثار حسين شهرستاني وزير النفط العراقي بتصريحاته خلال زيارته روسيا استياء القيادة الروسية . فالشهرستاني افهم الروس بان يتخلوا عن حلم الحصول على استثمار حقل غرب القرنة الذي قدمه لهم صدام كهدية لقاء دعمهم لنظامه . ألان شركة لوك أويل تأمل في معاودة العمل في هذا الحقل الذي يعد واحدا من أغنى حقول النفط العراقية . وتنتظر الحكومة الروسية من الحكومة العراقية ماهو أكثر أو تحديدا التزاما بان حقل غرب القرنة سيكون لروسيا . ويأمل الساسة الروس التزام الحكومة العراقية بهذه العقود والاتفاقيات التي تم توقيعها في أوقات سابقة . وقال وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في مؤتمر صحافي في منتصف يناير ٢٠٠٨ " أن هذا ينطبق أيضا على الاتفاقية التي وقعتها شركة لوك أويل وأشار إلى أنها مستعدة لاستئناف العمل في العراق بالتعاون مع شركة كونكوكو فيلبس الأمريكية . وأكد " انه يرى ضرورة أن تستند العلاقات الروسية العراقية إلى أساس من المنفعة المتبادلة . وهذه احد أهم شروط تفعيل العلاقات بين البلدين . وحينها يمكن أن تفتح روسيا صفحة جديدة في العلاقات مع العراق ويكون برهانا قاطعا على أن حكومة المالكي تمتلك قرار مستقلا بعيدا عن وصايا المستشارين الأمريكيين " . ولكن ماهي الضمانات التي سيوفرها العراقيون للشركات الروسية في حال الاتفاق على المشاريع في أطار لجنة التعاون الاقتصادي بين البلدين . وأعرب الروس عن الاستعداد لإرسال شركاتهم للعمل في العراق ولكن بشرط توفير ظروف آمنة أكيدة. ويرفضون اقتراح حكومة المالكي بالتعاقد مع شركات أمنية . وأشار سيرغي لافروف إلى التاريخ غير المشرف لمثل تلك الشركات بالعراق مضيفا أن " الروس لايريدون أن يلطخوا أياديهم بدماء

---

(1) Ibid.

العراقيين " كما فعل الآخرون [١]. وفي رده على سؤال لصحيفة الخليج الإماراتية حول اقتراحات حملها وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري إلى روسيا لتعزيز العلاقات بين روسيا والعراق) ومسالة الديون . قال هوشيار زيباري المقترح الذي لدينا هو انه لابد من وجود مذكرة تفاهم أو أطار للتعاون الاقتصادي بين العراق وروسيا لمراجعة كل الالتزامات والاتفاقيات السابقة والعقود السابقة والبت فيها منها قيد التنفيذ والمتابعة ومنها عفا عليها الزمن وانتهت هذه المذكرة سوف تشمل كافة الجوانب منها التعاون في المجال الاقتصادي والطاقة و الكهرباء والبنية التحتية وحتى في مجالات التسلح واليتنا للمضي في تحقيق ذلك تتمثل في عقد اجتماع قريب على مستوى الخبراء في اللجنة العراقية الروسية المشتركة التي كانت موجودة أصلا والتي تضم وزارات مهمة كالنفط والتجارة والخارجية والدفاع وذلك للتحضير لمذكرة إطارية للتعاون بين البلدين واللجنة سوف تتوج أعماله باجتماع وزاري بحضور وزيري الخارجية [٢].

ففي ١١ شباط ٢٠٠٨ وقعت روسيا والعراق اتفاقا ينص على إلغاء ١٢ مليار دولار من ديون روسيا على العراق. ووقع اليكسي كودرين – نائب رئيس الحكومة وزير المالية الروسي مع هوشيار زيباري وزير الخارجية العراقي على اتفاقية تقضي بإسقاط ٩٣% من الديون العراقية التي تبلغ ١٢ ٩ مليار دولار . ومن المقرر إسقاط ٦٥%من هذه النسبة كمرحلة أولى%فيما يجري إلغاء النسبة الباقية وقدرها %٥ مليار دولار على مرحلتين بموجب مباحثات بين الجانبين تجري في وقت لاحق . وقال اليكسي كودرين أن شركات نفط روسية ستستثمر أربعة مليارات دولار في العراق بموجب مذكرة تعاون جدية . وذكر أيضا أن من بين الشركات التي تشملها المذكرة لوك أويل ونقلت عنه وكالة روبترز قوله للصحافيين " لدينا اتفاق مع الجانب العراقي بتوجيه اهتمام خاص إلى الاتفاقات الموقعة سابقا " . وأشار هوشيار زيباري إلى أهمية دور روسيا في مجالات بلوغ استقرار العراق مؤكدا أهمية قرار إسقاط الديون المستحقة على العراق. وقال هوشيار زيباري في حديث نقلته وكالة أنباء " ريا نوفوستي " أن هذه المذكرة تفتح الباب أمام روسيا للمشاركة في جميع المشروعات والمناقصات التي يطرحها العراق" مؤكدا " استعداد العراق للتعاون في كل المجالات"[٣]. وأكد هوشيار زيباري أن هذه المذكرة تؤكد حرص الحكومة العراقية على تطوير التعاون مع روسيا والتي ستكون بمثابة " خارطة طريق " لتطوير التعاون بين البلدين في المستقبل[٤].بينما صرح سيرغي لافروف وزير الخارجية الروسي " بان توقيع الاتفاقية الخاصة بتسوية الديون المستحقة على العراق يدل على ما تبذله روسيا

([2]) Ibid.

([1]) info@alnajafnews.net.

([2]) صحيفة الشرق الأوسط (لندن - بغداد) ، العدد ١٠٦٧٠ ، الثلاثاء ١٢ شباط ٢٠٠٨ .

([3]) http://www.elaph.com

من جهود لإعادة بناء الاقتصاد العراق"[١]. وتأمل روسيا المشاركة في المشاريع النفطية بالعراق . وترى في قانون النفط والغاز الذي يتم أعداد مسودته في العراق بأنه يجب أن يرسخ مساواة المستثمرين الأجانب في الحقوق لدى المشاركة في استثمار حقول النفط والغاز . فقد أعلن ايغور شيرباك النائب الأول لمندوب روسيا لدى الأمم المتحدة" أننا نعول جدا على أن يتضمن القانون الجديد بنودا ترسخ أمكانية عمل شركات مختلف البلدان بما فيها الروسية التي لديها خبرة ايجابية هائلة في قطاع النفط والغاز العراقي وفي سوق الوقود في هذا البلد على أساس المساواة وعدم التمييز " . وأضاف شيرباك " أننا نؤكد استعداد الشركات الروسية للمشاركة في أعادة بناء الاقتصاد العراقي" . وأشار أيضا إلى " أن القانون الذي يجري من مناقشة مسودته يجب أن يضمن المساواة لكافة الطوائف في الحصول على ثروات البلد الوطنية وان يشكل آلية تضمن وحدة أراضي البلد" [٢]. وفي ١٠ آذار ٢٠٠٨ استقبل نائب رئيس جمهورية العراق طارق الهاشمي سفير روسيا لدى العراق فلاديمير تشاموف . وعبر السيد طارق الهاشمي عن تقديره لموقف روسيا بشطبها القسط الأكبر من الديون المستحقة على العراق مشددا على أهمية توثيق العلاقات بين البلدين في المجلات الصناعية والاقتصادية ولاسيما في قطاعات النفط والغاز والكهرباء وإعادة الأعمار. من جانبه أكد السفير تشاموف وجود مشاريع عديدة تنتظر التنفيذ خاصة بعد التحسن النسبي الذي طرا على الوضع ألامني في العراق [٣]. وفي ٢٤ آذار ٢٠٠٨ استقبل نائب رئيس جمهورية العراق عادل عبد المهدي مبعوث الرئيس الروسي للشرق الأوسط الكسندر سلطانوف . وعبر السيد عادل عبد المهدي عن تقديره لموقف روسيا بشطبها القسط الأكبر من الديون المستحقة على العراق . وأكد بان سياسة العراق الجديد هي الصداقة مع الجميع مشددا على أهمية الاستفادة من الخبرات الروسية في تطوير القطاعات الاقتصادية في البلاد . وأشار أيضا إلى أهمية تمتين العلاقات بين البلدين في الميادين الصناعية والاقتصادية ولاسيما في قطاعات النفط والغاز والطاقة . من جانبه جدد الكسندر سلطانوف دعم روسيا لحكومة وشعب العراق في مختلف المجالات[٤]. وفي ٢٥ آذار ٢٠٠٨ استقبل الرئيس العراقي جلال طالباني مبعوث الرئيس الروسي للشرق الأوسط الكسندر سلطانوف . وأكد الرئيس العراقي أن هذه الزيارة ترسي إلى بداية لمرحلة جديدة من توسيع وتطوير وتعزيز العلاقات العراقية – الروسية في الميادين السياسية والاقتصادية والتجارية والنفطية والثقافية . وأشار إلى "أن لهذه العلاقات امتدادا تاريخيا طويلا وقد صمدت لاختبار الزمن "" وأضاف انه "يطمح إلى أقامة أوسع وأوثق الروابط مع دول العالم ومنها روسيا" . وشدد أيضا على "أن القيادة السياسية في العراق مصممة على المضي قدما في توسيع وتوثيق العلاقات

([4]) صحيفة الصباح (العراق) موقعها على الانترنت .

([5])Ibid.

([1])http://www.Iraqipresidency.net

([2])Ibid.

مع روسيا داعيا رجال الأعمال الروس إلى الشروع في الاستثمار والعمل في العراق والانطلاق من المناطق الآمنة في إقليم كوردستان والمناطق الآمنة الأخرى في العراق ". كما أعرب المبعوث الروسي عن ثقته بان بلاده تدرك أن للاستقرار أهمية كبيرة لإنجاح العلاقات الدولية وتطوير الروابط مع العراق. وأكد توفر آليات عدة للارتقاء بالعلاقات الثنائية بين البلدين . مشددا بصورة خاصة على أن بلاده ستبذل الجهود من اجل دعم سيادة واستقلال العراق ووحدة أراضيه واستقراره وإنجاح عملية المصالحة الوطنية فيه [١]. كما حدد رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي) المجالين العسكري والطاقة ضمن أولويات المجالات التي يرغب العراق بتطوير التعاون فيها مع روسيا . وقال الناطق الرسمي باسم الحكومة العراقية أن رئيس الوزراء التقى المبعوث الروسي للشرق الأوسط الكسندر سلطانوف مبينا انه تباحث حول سبل توطيد العلاقات الثنائية بين البلدين وأعرابه عن رغبة العراق في تطوير العلاقات مع روسيا في المجالين العسكري والطاقة [٢].

الخاتمة

يعد العراق جزءاً مهماً من منطقة الشرق الاوسط، المنطقة الحيوية بالنسبة لروسيا لاسباب عديدة منها استراتيجية واقتصادية وسياسية. كما ان روسيا تعد إحدى الدول الكبرى والتي لا يمكن تجاهلها حتى ولو بالكلمات. اذ ان التدخل العسكري الأمريكي في العراق وإسقاط نظام صدام حسين، فان هذا التغير الكبير، سوف يؤثر بلا شك على طبيعة العلاقات العراقية–الروسية.

وعلى الرغم من معارضة روسيا العلنية للحرب على العراق، الا إنها وافقت ضمناً على الحرب. اذ ان مصالح روسيا الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية مع الولايات المتحدة اكبر بكثير من مصالحها مع العراق. فقد حصلت روسيا على ضمانات من الولايات المتحدة برعاية مصالحها في عراق ما بعد صدام. بعبارة أخرى، ان تغيير النظام السياسي في العراق سوف يؤثر بشكل قوي على طبيعة العلاقات العراقية–الروسية، فبعد ان كان العراق إحدى الدول التي لها علاقات اقتصادية وسياسية وعسكرية مع روسيا، ستصبح هذه العلاقات اقل مما كان في السابق لعدت اعتبارات منها:–

ان توجهات السياسة الجديدة للعراق سوف تكون اكثر ميلاً نحو تبني السياسات الموالية للغرب ولاسيما الولايات المتحدة. كما ان تبني العراق لسياسات اقتصاد السوق سوف يقلص من التعاون الاقتصادي بين العراق وروسيا، اذ ان المنافسة الاقتصادية ما بين السلع الاقتصادية المنتجة في الغرب التي تتميز بتكنولوجيا عالية مقارنة مع السلع

([3])Ibid.

([4]) صحيفة الصباح (العراق) ، العدد الصادر في يوم الاثنين ٢٤ آذار ٢٠٠٨ .

المنتجة في روسيا، سوف لا يكون في صالح بعض السلع الروسية، وهذا لا يعني انقطاع كامل في التعاون الاقتصادي بين العراق وروسيا، بل يمكن الاستفادة من بعض القطاعات الصناعية المتقدمة في روسيا مثل الصناعات النفطية وقطاع الكهرباء من اجل الاستفادة من الخبرة الروسية لصالح دعم الاقتصاد العراقي.

كما ان سوق السلاح العراقية سوف تتقلص أمام السلاح الروسي، وهذا لا يمنع من إمكانية الاستفادة من بعض التكنولوجيا العسكرية الروسية المتقدمة في بعض الجوانب لتطوير القدرات الدفاعية العراقية.

ولاسيما ان السلاح الروسي يتميز بنفس القدرات الفنية المتقدمة مقارنة مع السلاح الغربي، فضلاً عن رخص ثمنه.

إضافة الى ذلك، ان تطوير الروابط الثقافية والدينية بين العراق وروسيا، سوف يشكل عامل مهم لا زيادة التقارب والتواصل والتفاهم بين الشعبين الروسي والعراقي، وذلك من خلال إعادة إحياء وتطوير المؤسسات الثقافية كالمركز الثقافي الروسي– العراقي وجمعية الصداقة العراقية الروسية وغيرها. فضلاً عن ما يحتويه العراق من مراكز دينية مقدسة سوف يشكل عامل جذب للمسلمين الروس الذين يبلغ عددهم ما يقارب ٢٠ مليون مسلم، لزيارة العتبات المقدسة في العراق.